

الاماني والمغنه في حديث  
قبول وورد جنة  
لؤلؤة الفقير الى ربه المتعال  
محمد عثمان جلال

ولست ينظر الى جانب الغني • اذا كانت العلياني جانب الفقر

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الممنوع لقصص في كتابه خير تذكره ونشره كرم من  
غيرنا سبوا ونفكره الذي ابتلى عباده الاخيار واعد لهم جنات  
تجري من تحته الانهار جزاء لهم على صبرهم وعلو الشرف  
قدرهم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامين وعلى  
آله وصحبه اجمعين وبعد فلما كانت كتب الادب لازمة  
للمدارس الاولى لتأليف قلوب التلامذة الابهة وكان  
اسهاما ما يدخل عليهم بالحكايات والقصص المسليات اخترت  
كتابا من اشهر ما في اللغة الفرنسية وترجمته باللغة العربية  
وهو في هذا المعنى قدوة ولما اراد ان يتأديب اسره لما احتوى

عليه من الحكم والامثال والمعاني التي هي كالسحر الخلال  
 والماء العذب الزلال فافرغته في اكواب من الالفاظ المتبلورة  
 واخترت له ما سهل من الكلمات النيرة لتكون قطوفه دائية  
 ومحاسنه عن الزينة غائبة واخرجته عن الطباع الافرنجية  
 وجعلته على عوايد الامة العربية وما بدلت غير الاسماء وقرنتها  
 بما يلائمها من لذيذ المسمى وتركته باقية على ما فيه شعر  
 حملت خاتم فيه فصا زرقا \* من كثره اللثم الذي لم احصه  
 لولاه ما علم العزول فياله \* من خاتم نقل الحديث بنفسه  
 فن تصفحه بهن القعد راي القعد على القعد ومن قاله بمقياس  
 للمقابلة وطبق آخره واوله راي فذا قرن بتوأم وصلم ان من  
 ترجمه فقد ترجم ثم كتبه على ورق الجنة وسميته قبول ووردجته  
 لمقارنة مخرج الاسمين ومطابقتها في لفظ الاقنين واهديته الى  
 صاحب السعادة ومعدن العز والسيادة الجامع بين السيف  
 والقلم نجل الخديو الاكرم سعادة افندينا محمد توفيق باشا  
 لازل سنائه في سماء المجد طالما وبرق ذكائه في سحاب الادب  
 لامعا ولا برحت ايام الخديو في جبهة الدهر غمرا ووجوه النجالة  
 في عقد الزمان دررا

آمين آمين لا ارضى بواحدة \* حتى تبلغها الفين آمين

﴿ فوائد الكتاب ﴾

ان لهذا الكتاب فوائد عديدة وطرائق مفيدة منها معرفة  
 تخطيط البلدان ووصف الانهار والخلجان ومنها الوقوف  
 على خواص النباتات ومعرفة سائر اخضرارها وتربيته  
 المقابل منها للتربية وجعل البعض منها للثروة والبعض للتغذية  
 ومنها خدمة الاشجار وتاليفها في سائر لاقطار وغرسها  
 في اوانها وتمكينها ما يناسبها من مكانها ومنها الاصلاح على  
 سائر الامم واصطلاحات العرب والجم ولم يخل فط عن  
 الرياضيات وذكر ما يناسب من الطبيعيات وما يستعمل  
 من الادبيات ودقيق الفلكات ورقائق الابيات ما ترك من  
 البديع شيئا الا ذكره ولا معنى في معضل المسائل الا فسر  
 يعلم الامانة والصدق ويرشد الى العدالة والحق أف من  
 غرامياته ما اعذبها وايه اصباغاته فما اطربها يدير امور العائلة  
 ويصون الحر من المسئلة ويبدل النصيحة لمن يراها ويظهر  
 الفضيلة لمن يريد ان يراها ان مدح الدنيا احبها للقلوب وان  
 ذمها اظهر فيها العيوب أو تكلم على الزهد مالت اليه الغواه  
 وتطامن الملوك والولاة بضحك ويبكي ويخطب ويحكي ولا يسرد  
 ذلك الا في سياق القصص ذاكرا لها بحسب المناسبة  
 والفرص يسميها المرید بشهيه ويقابلها بصغانيه فتهذب  
 اخلاقه وتضي افاقه وتورث قلبه الرأفة ونفسه الكرم والعفة

فمن قرأه وكنه ونظر فيه وتامله خرج منه متشوقا إليه  
واكثر من ثناء عليه

### ﴿قبول وورد جنة﴾

قال الناقل لهذا الخبر الصحيح والقول القصيح بينما أنا في سبيل  
على كفي نهي وراحني وإذا بجزيرة من جزر في قعر بحيرة  
فتزلت فيها على الجهة الشرقية فرأيت نخل من هذا  
المحل بمنا يقال لها مينا الواس أرضا كانت فلتت لبعض  
الناس ورأيت بها اثنتين صغيرتين في وسط موضع كأنه بين  
وصكان الخوص محاطا ببعض صخور طوال ولم يكن لذلك  
الخوص أفق فوجدت أسدا تدير إلى الشمال ويرى على العشتين  
جبل يسمى بالخرطوم مهي زرات مركب إلى الجزيرة ورفعا لها  
الإشارة علامة على القدرم وكان في سفح الجبل على مقدمه  
مدينة يقال لها مينا الوى بوادي عبادوس ثم مسجد الابنوس  
وكان هذا المسجد موضعا في مكان مرتفع من الصخرى يراه  
القادم مشرفا بما حوله من الماشي الخضراء وعلى البعد منه  
اجمة كبيرة معتدة إلى أطراف الجزيرة ثم على شاطئ البحر  
جول يسمى بالندفين وعلى يساره رأس يسمى رأس المسكين  
ويرى في ذلك حركة البحر وكونه وكثيرا من الجزر  
الغير مسكونة ويرى سطح الجزر مساويا لسطح الماء ثم رأس

المترصة نفعاً الى ضئان السماء فاذا دخل احد في فحة الخوض  
نظرا شياً عجيبه وسمع اصدااء الجبل تعكس دوى الرياح الواقعة  
على الغابات القريبه أو سمع البحر وتلاطمه والموج وتصادمه  
وان كان تحت سفح العشرة من فلا يرى الا صخورا كالاسوار طالعة  
في اصولها وخذلاها الاشجار من علوها بتقطع السحاب عليها  
فتتساقط الامطار بين يديها فتسير بالفرح وتنصب اعلام  
قوس قزح ثم تجتمع المياه في كل غدير وتكون منبعاً لنهر  
يسمى بالتشوير ومن نظر الى محيط تلك البقعة شهد اللطف في الهواء  
والصفاء في الماء والرقية في الاشياء فباكاديب مع صورنا للخيال  
الطالع على المضيات ولا ينظر غير سهام سهفه الراقصات وان  
كان اليوم صاحباً صباراً فهو يبطن الخوض صاحباً غير  
ان الشمس لا تصل اشعتها اليه الا وقت الزوال وعند ظهورها  
لا تشرق الا على رؤس الجبال فتكون كالذهب على حواشي  
الارجوان أو كالنجاج على رأس السلطان

قال وكنت احب ان احضر في هذا المكان وانفسح في تلك الوديان  
لا تمتع بالمنظر الجميب واذوق لذة انفرادي بهذا الشئ الغريب  
وبينا انا جالس ذات يوم بالقرب من هاتين العثمتين انظر  
في رسومهما وانفكر في امورهما واذا بشيخ سري وحف بجاني  
وكان على عادة اهل بلده لا سابقاً صغيراً وسيراً كبيراً خالفاً

فعليه ما سكت عني بين يديه ما شيا مع الانكسار عليه ظاهر  
 الحشمة والوقار فسلمت عليه فرد علي السلام وخصني بالعبية  
 والاكرام ثم امكن في النظر ودنا مني وجلس علي الارض غير  
 بعيد عني فلما استأنست منه غاية الاستئناس وعرفت انه من  
 خيار الناس قلت له يا ابني اتدري بخبر هذه الاماكن وكيف  
 كان حال تلك المساكن فقال يا ولدي ان هذه الرسوم وهذه  
 الاطيان كانت معمورة من قديم الزمان وكان بها عائلتان  
 غفل الدهر عنهما زمانا فذاقنا كؤوس الهنا ولهما قصة تاخذ  
 بجميع القلوب وتطلى هدية من الحب الي المحبوب امكننا  
 هنا في ارض منقطعة خافت بحار منسعة ومن ذاب اسأل عن  
 قصة اناس بجهولين وعن مورد الامم مبعدين الم تعلم ان الناس  
 لا تسأل الا عن قصص الملوك الاكاسره وسير الرجال الجبابره  
 علي انها لا تنفي دالا القسوه ولا تصلح ان تكون للمروءة اسوه  
 فقالت له وحق من يعلم بما في الصدور انك تلجج بربا الامور فان  
 كنت تدري بما سالتك عنه فبالله عليك الامام كنتني منه فان  
 الرجل وان اعماه الجهول واصمماه المال والاهل لا يزال يرتاح  
 لقصص الصالحين وخبر ماجرى للشهدا والمؤمن فلما راى مني  
 الاحتياج وكثرة الطلب من الافصاح استجيب قريحته وحضر  
 فذكره وقال في الخاتمة لا تأتي في ذلك خذ يا ابن السكرام عني

سكان رجل من اهل الى الجزائر واسمه الحاج عبيد القادر  
 مكث مدة يتطاب الخدم في بلده فلم ينحصل على قصده وآل  
 امره الى ان اتى هذه الجزيرة بعد كثير من التعب والخيبة  
 وكانت معه شابة تحبه ويحبها واطاب قربه ويطاب قربها  
 وكان قد تزوج بها بالخفية عن اهلها لانه كان فقيرا واهلها  
 اغنيا وانت تعلم ان اغلب الاغنيا غيبا فلما اتى بها الى هنا  
 تركها وسافر بقصد التجارة ليدخر اذخاره ويرجع مع جم من  
 العبيد ويقال بهم قطعة من ارض هذا البريد وكان سفره  
 الى جزيرة مدغشقر اشد شتري منها انفسا من السودان ثم يرجع  
 هنا للاستيطان فحين نزل بها الصابئة المنية ولم يبلغ امنية ولقد  
 تصرفت موجوداته بعد موته كما ينصرف كلام المرء بعد نفاد  
 صوته وبقيت امراته في هذه الجزيرة حبلى لا تملك مالا ولا اهلا  
 ولا هي تبغى الا زواج غير زوجها الذي كانت تحبه وكان يحبها  
 فتوجهت مع جاريتها للزراعة بقصد المعيشة لا للتجارة ولا البضاعة  
 ولم تختتر في هذه البقعة محلا خصبا ولا مكانا مستويا رحبا  
 لتكون قريبة من نبط التجار بل مالت الى العزلة والاقتصار  
 فبزت فوهة الجبل واتخذت هناك ابعده محلا لتعيش بعيدة  
 وحيدة غنية بالعزلة سعيده كالطير يعزل عشه مخفيا ليكون  
 نسبيا منسيا وهذه سعيبة وغريزة في ذوى النفوس الغريزة

بألقون الاماكن المقصورة ولو كانت موحشة فقفره كانوا هم  
 يزورون في العزلة حصونا تدرأ عنهم صروف الزمان وتكلاهم  
 من ثياب الحديدان وسكان هذا الطبيعة يسكن جاشهم  
 ويؤنس استيجاشهم

ولقد سحر للذهاب حبيبة من حذوها وقريبة من غير اهاها  
 وذلك من رضى من الدنيا باليسير فقد هان عليه العسير  
 ولقد عز من قمع وذل من طمع وذلك انه كان في هذا المحل  
 امرأة من الطبيبات وست من الخدرات ولدت في الغرب  
 من عائلة من فقراء الفلاحين وكان يحبها شاب من ضباط  
 الملاحين فاوعدها ان يتزوجها ولما قضى وطرا منها تركها  
 ولم يسأل عنها فعزمت على الخروج من بلادها مع عبدها  
 وولدها وتركته اهاها ودارها وذهبت الى بعيد البلاد توارى  
 عارها فأتت لتلك الجزيرة واستخدمت في المذراعة عبدها  
 مرجان وكان اسم ابنتها قبول واسمها افعون

وانرجع الى الست بدور فاتها مشيت ومريم جاريتها وراها  
 وسلمت قيادها الى انساها وبراها وأتت الى هذا المكان  
 فوجدت فيه افعوان فحصل لها مزيد الفرح وزال عنها  
 اظم والترح سجا وقد قابلتها بابتسام واكرمتها غاية الاكرام  
 فكثرا بعدئذ ان بما اصحابهما ويحكيان لبعض ما جرى لهما

ثم أشارت لها أقعدوا إلى عشتها وهي تمبكي وتقول هي لي ولك فاما  
 رأيت منها هذا الا كرام ضمنها وبين عبيدنا فباتها وقالت انها  
 ان الله تعالى أراد لنا بالسعادة وصككت لنا الحسنى وزبادى  
 حيث الله بك يا كرام مشواى والتكرم على بماوى فلقدر ايت  
 منك ما لم أره من الاقارب وان كنت بالنسبة لي من الاجانب  
 قال وكان لي معرفة باقبحوا من مذجات بهذا المسكن وكانت لي  
 على بعد الدار بمنزلة الجار مع أنه في المدين يكون الرجل مجاورا  
 لاهله وأقربه ويكون جانبهم بجانبه وهم عنه لا يسألون  
 وعليه لا يصحون ولا يمسون وذلك بخلاف سكان الضواحي  
 وأهل القبائل في سائر النواحي فانهم على بعد دارهم وشطاط  
 منازهم يتوددون لبعضهم بالعبادة ويسعون بينهم بالاعانة  
 والافادة سيما لما أخذت التجارة فجمع بين اليهود وسكان  
 هذه الجزيرة صار الجار له على جاره حق الجيرة  
 ولما ان بلغتني ان جارتني انتها رفيقه وانها غايبة من الاحتياج  
 والضيقه أتيت اليها من باب المطلة وعلى سبيل المراساة  
 والتعلة فلما وقع بصري عليها توسمت الخبيرين عينيها الا ان  
 الحزن كان عليها ظاهرا لمن يرى وكانت مشرفة على الوضع وصارت  
 تحتاج للمساعدة بالطبع فأنشرت عينيها محبا في منفعتهما وراعاة  
 لاولادهما من بعدهما أن يقتلها الخوض ويزرعانه أولى

من تركه وهجرانه كي لا يأتي أحد الا جانب فيه ملك عليه ويجب  
 قومه اليه فوكلاني بانقصة قسمة قسمته بعد ان ضبطت قياسه  
 واحكمته وجعلت قسما يبتدأ من الصخرة ذات السحاب المنهر  
 والماء المنجر ممتدا الى القصة العليا من الهضبة محتويا على  
 عيون ومجار مذيبة وجعلت القسم الثاني في الجيزة الاسفل  
 يبتدأ من النهر الذي منه في القسم الاول ويمتد الى الفتحة التي  
 نحن على الان ثم نصب في البحر كبقية القدران وهو كما ترى موسى  
 بدور من الميراثي طر فقه محتوية على قطعة ارض لطيفة  
 الا انها لم تنسر احسب من الاول لانها في زمن لامطار تكون  
 مأوى المياه لراكده فادحا الصيف يبيت وصارت جامده  
 بحيث لو لم الامر قطع محدد لزم استعمال المال المطالحاده  
 والالات الاخرى وبعد ان مرغت من القسمة قلت لهما  
 لا تخصص الا بالمساهمة لعدم وقوع نزاع ارضيانه فوقع  
 لست بدور سهمها على القسم الاعلى واخذت اقحوان القسم  
 الادنى ورضيت كل منهما ابا أرضها وما قسم الحظ لهما الا انهما  
 اوصياني أن لا أقسم بينهما السكن قصدا بان يأنسا ببعضهما  
 وان يتعاونوا في العمل على قضاء حوائجهما لكن لم اكل عشة  
 منفصلة وان كانت في الوضع بالآخرى متصلة وكانت عشة  
 اقحوان على حدود أرضها فبنيت لست بدور بيتا يقرب منه

في طينها بان قطعت أخشابها من الجبل وجابت خوص البحر  
على عجل وانصببت قوتها ورفعت دعائه فجاء بعون  
الله فسيحاً وسكناً لهما ثم أصلحت بيت أفحوان وهندمته  
واحكمته ورائته فانظر كيف فعل الدهر بهما فلم يبق منهما غير  
رسومهما

شعر

وكانه لم يبق رسم ديارهم \* إلا بالذكركنى بايام مضت  
كانت لبا لينا قصاراً بالهنا \* فنقض عليها الدهر حكماً فانقضت  
ومثله

ثم أنقضت تلك السنون وأهلها \* فكأنها ركبانهم أحلام  
ثم ماتم بماء العشتين الأوجاء الست بدور الخماض فوضعت وأسفر  
نقاسها عن بنت كالشمس إذا طلعت فدعتني أن أعوذها وأرقها  
وبما شئت اسمها وكنت سميت ابن أفحوان قبول فقالت لي  
أفحوان أما أن تقول وأما أن أقول فقالت لها قولي بالنبابة عني  
وبما شئت فسمي فسمتها وردجته ودعت لها بالمدني والمه  
وقالت جعلها الله من أحسن البنات وأطيب النساء الخدرات  
فاني مأسأ بخي الألفرطت في عرضي ثم ماتم نقاسها رذهب  
عنها ياسها الاوكان قد تم اصلاح المسكنين وحسن الطام  
هاتين العشتين وكان تمامهما على يدي فاني بذلت مع مرجان

فيها غاية جهدى وكان مرجان همد أقحوان فى السن متقدما  
 صحيح البنية سالما خيرا بالامور عليهما صبور على العمل مدبجا  
 يلح كلما رآه من القسمين قابلا للزراعة لينتفع مما يرى فى البقع  
 النقا فـكان يذرى فى كل بقعة ما يوافقها ويضع فى كل طينة  
 ما يرافقها كالذرة والدخن فى القطع المتوسطة الخصوبة وكالقمح  
 فى الجهات الكثيرة الذوبه وكالارز فى محلات الماء والرطوبة  
 وان رأى سهولة تحت الاجار يزرع فيها طائفة القمح والخيار  
 فانه كان يكسوها بأوراقه وبضى عليها بنواره وأشراقه وكان  
 يزرع البطاطس فى الطين اليابس والقصببات السكرية  
 فى الاراضى القوية وزرع البن على الاكم العالية فاستغل منه  
 الحبوب الغالية وغرس الموز حول العشنتين فكان ينتفع  
 منه بشيئين أكله المتراكم وظله الدائم ثم زرع الدخان فى وقائه  
 قصدا بنسبته وتسايفاداته وكان يذهب الى الجبل فيأتى  
 بخشب الحريق ويكسر الاحجار ليساوى بها الطريق وكل  
 ذلك كان بفعله بالمعرفة والهمة لانه كان خالص القلب فى خدمته  
 وكان لا يخرج عن طاعة سته أقحوان فى أى زمان وأى مكان  
 وما وضعت الست بدور زوجته يجار بها فصار يجها كسته  
 ويجهد فى خدمتها وكان يحب زوجته مريم حبا جما ويأمل لها  
 المنافع لما وكانت مريم قد ولدت فى جزيرة مدغشقر الكائنة

في البحر المحيط الاكبر وكانت عند أهلها ذخيرة فعلموها صنائع  
 كثيرة منها صناعة الاسبات وحمل المقاطف والمشاة  
 فكانت تذهب للغابة في كل يوم وتأتي بميدان الخبز  
 وخصوص الدوم وتصنع ما يبدلها من تلك الاصناف وتخبئها  
 غاية الانحاف وكانت ماهرة نظيفة سريعة في الخدمة خفيفة  
 تقوم بتحضير الطعام وتربية الدجاج والحمام وكل ما رأت شياً  
 يزيد عن المؤنة كانت تذهب به الى المدينة فتبيعه مع لأماته  
 وتعطي ساداتها أثمانه وبالجملة فقد ذكرت لك عدد هاتين  
 العائلتين ثم أزيدك كتباً ومعارين لتكون ممن علم بالحال وكفى  
 الله المؤمنين القتال وأما الصاحبتان السيت بدور وأقحوان  
 فكانتا يغزلان القطن في اليوم والليله ويصرفان ثمنه  
 في لوازم العياله وكانتا لا يملكان من اللوازم الا ضروري  
 الحطام حتى انهما كانتا يشبان في بيوتهما حفاة الاقدام وكانتا  
 لا يبتعلان الا يوم الموسم والزينة أو عند احتياج دخولهما  
 الى المدينة وكانتا لا يدخلان المدينة الا فيما ندر ولأنهم على من  
 اعتذر اذ كان ذلك خوفاً من أن يزدري أحدهما على حقارة  
 ما يوسهما لانه كان من القماش الازرق العتيق الذي هو عادة  
 من ملبس الرقيق واثن كان حظهما من الناس الاحتقار  
 وعدم الاعتبار والاعتبار فكانتا عند العودة الى مساكنهما

يبيان فبهما ما يسرهما وذلك ان مرجان ومريخا اذا نظرا ماء على  
 البعد مقبلين اسرع لقاتهما على الرأس والعين واذا دحسا  
 العشمين رأياهما نظيفتين مرتبتين ونظروهما خيرا  
 من ثمرة شفاهما ورأيا خادعين محبين لهما

ثم لما اضطرتهم ما الصيبه صارت إحدى المرتبة  
 حبيبه فأخطا سوبه فأتى الكلبة والجزئية وانشأ  
 في المنفعة والفائدة بحالته على المائدة انما ذاهبا  
 الفكر فبما مضى وحضر بيالهما ما حكم به لفضله  
 علم ما النسب - ايم والرضى وانصرفا من الحالة الصبه الى  
 العيشة الراضية كاللهب اذا لم يجد في الارض وفودا صعد  
 الى الجوصهودا

وكلما نظرا الاولادهما اللذين هما ثمرة فؤادهما والسبب  
 في سوء حظهما يزداد كل منهما بالآخر حبا وبانفاق جسمهما  
 وقلبا فكأنما يتلذذان بغسلهما معا ويشركا في ما  
 مضى وطالما تبادلا في الرضاعة بالالمان وتناوبا لهما  
 بمضغ الطعام بالاسنان حتى كانت الست بدور تقول  
 لصاحبتها يا أخوتي كل مناله ولدان وكل من أولاده أمان  
 وكان مثل الولدين على يتمهما حين كانا يتبادلان البان أمهاتهما  
 كشجرة فيها فرعان نبتت عليهما ثمرة كان ان نطعت ثمرة من

فرع وأثبتها في الآخر على وجه النطعم أمسكه بنقدير العزيز  
 العالم هذا ولقد تحدث أمهاتهما بزوجيهما وأجهما وهما في المهد صبيا  
 حفايا عرابيا وكان الحديث بزواجهما المجرد التسليمه ومن باب  
 التفاؤل بوقوع الامنيه ولمناسبة ذكر الزواج كانت تبكي أقحوان  
 لما فرطت في عقده والاخرى تبكي على ان الزواج جاءتها المصيبة  
 من بعده وعلى ان أحدهما ابتغت زوجا أعلا منها قدرا والاخرى  
 لان زوجها كان دونها نسبا ووفرا وكانت تسمع ذلك بتركان الهم  
 بالنسب ان وباولادهما يتسلمان فيقولان في غد نصير أولادنا  
 أسعد منا حظا وأحسن منا معنى ولفظا ان يجتمعان بين لذة  
 الالف واستواء المقام بعيدين عن وحوش متمدن في هذه الايام  
 الذين يفرقون بين الالفين لتفاوتهما في المقدار واختلاف  
 النسبة والدار

وفي الواقع اذا نظرنا للاختلاف الواقع بين هذين الطرفين تعجبنا غاية  
 الحب وأخذت نفهمهما الخيانة والطرب أذا رقبول اذ ابكى  
 اومن شئ اشتكى قربوا منه ورد جنسه ابتسم وانطق وجهه  
 ونقسم وكذلك هي ان تأملت من شئ مجهول كان يستدل عليه  
 بقبول فصارت من لطفها تسكن ما أصابها وتجدد على  
 ماناها كي لا يتألم لآلها ولا يترجم من ضررها وما جئت مرة  
 هنا الا وأراهما معا بمشيان ويتساندان بالابدي والاحضان

كأنهما الفرقدان أو السماكان وربما دخل الميم ليهما  
 في المهد على اعتناق الخد على الخد والاق على الساق وكان  
 مبدأ نطقهما وأول كلمة قالها لبعضهما كلمة أخي وأخني  
 لاسيدي وسني وهاتان الكلمتان أحلاما تنطق به الاطفال  
 والذمات تحدث به النسا والرجال فانوما دفئا كتاب الشفقة  
 وعينما رأس الرقة وكانت تربيتها مامعاداعبالا زيدا المحبة  
 بينهما والسعي في قضاء واجبهما وما أسرع ما اشتدا والى  
 الخدمة استعدا فاختمت وردجته بخدمة المشقة ونظافتها  
 والقيام بقرائض العيلة من جهة طعامها وكما رآها أنورها  
 على هذه الحالة قام يشكرها وقبلها في ثغرها وأما قبوله كان  
 طورا مع مرجان في اصلاح البستان وطورا يذهب معه إلى  
 الغابة في غابة القوة والصلابة فان رأى في طريقة زهرة لطيفة  
 أو عشب طير على شجرة مصيفة معه دعا إليها بهمة  
 وأتى به لاخته عند عودته ومتى رأيت أحدهما فاعلم ان الآخر  
 يجنبه أو منفصلا عنه بقربه حتى اني ذات يوم كنت نازلا من  
 أعلا الجبل فرأيت وردجته مقبلة من جهة البستان على عجل  
 سائرة بذبل ثوبها رأسها مواربة من المطر نفثها فظننت  
 على البعد انها وحدها فجئت لاسألهما فرأيتها ممسكة  
 بذراع قبول وهو ملتف معهما تحت الثوب المبلول وأخذا

يجريان وبشتدان ومن الشمسية التي اخترعها بضحكان كأنهما  
 مروسان في زفه أولؤلؤنان في صدفه  
 وكان جـل اجتهادهما في أرضا خراطير بهضهما والمعاونة  
 على قضاء حوائجهما ولم يتعلما الكتابة ولا القراءة بل نشأ  
 على الساذجية والبرائة فلا يتفكران في أزمان مضت ولا ليال  
 انقضت بل قام به قولهما الصغيرة ان الدنيا قد انحصرت  
 في هذه الجزيرة وان لالذة فوق لذاتهما ولا شاغل لهما الا  
 حب امهاتهما

## شعر

ولم تسـل قط لهم دموع • على علوم ما بها متفوع  
 ولم يقطب وجههم مؤذب • أو واعظ معذب معذب  
 وقط ما احتاجا له صحيح ناصح • ولا لقول قاذح أو ماذح  
 فان من مـن دأبه الامانة • مثلهما لا يقبل الخيانة  
 من يكن في أكله بسيطاً • مثلهما لا يعرف التخليط  
 ومن يك الصدق له عزيزه • ونفسه شريفة عزيزه  
 فانه مفعـه مهـذب • لم يخطر الزور به والكذب  
 ومن أطاع والديه حقاً • فعنه لا يقال هذا عقاب  
 وهكذا على ذا اللطف تربيا وزمن الطفولية قضيا كاليوم  
 الجميل يعرف من فلقه والمدرع الاصيل يظهر من حلقه ثم

استمر على تلك الموافقة حتى دخل من المرافقه فانهم كما  
 في مصالح العيله في اليوم والليله فتى أبار الصبح جبين السما  
 صحت وردجته وذهبت الجلب الما ثم تدخل البيت وتصلح ما في  
 القيدور وتأخذ منها ما يكفي له صور وفي الشروق تأتي  
 أفخوان مع ابنتها عند الست بدور في موضع هنالك ويصلون ثم  
 بعد ذلك يفطرون وكان فطورهم أغلى الأيام امام الباب  
 تحت ظل الموز والله لاب متخذين من المرويه فيروشا ومن  
 أغصان الشجر عروشا سيما شجر الزانقي ذي اشعر  
 الهني يتخذون أورافه صحافا وكيزانه كذا اصافا وهلم  
 من هذا الفداء البسيط الخالي عن الثقلة والتعاطي حتى  
 تكونت أجسام هذين الولدين ونحات أرواحهما بكل حسن  
 زين فباغت وردجته اثنتا عشرة سنه الا وانرغت في قالب  
 ما أحسنه لا أقول برزت في شكل البنات بل في قيافة  
 السمات ولا أقدر أصفها في لفظ قصير أحسن مما حكاه  
 جرير

### شعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق • رخيم الحواشي لا هرا ولا نذر  
 وعينان قال الله كونا فكاكتا • فعولان بالالباب ما تفعل الخمر  
 اذا تكلمت تبسمت ورنث بانفها وترنمت لها شعور كالليل

الحالك ومغازلة عبون تودى به قل الناسك وشفاه حمير  
 كالمرجان ووجهه أبيض مائه يروى الظمان وان سكنت  
 تفكرت ونظرت الى السماء وتحيرت فمظهر عليها علامة  
 الزكوا تذكرك وانها صاحبة أفكار وأما قبول فانه تشكل  
 بانظر أشكال المرافقه للغلمان وأفرغ في قلب من أجمل  
 قوالب الانسان وظهرت عليه قيافة الرجال فكان أطول من  
 وردجنة في القدر والا عندل وكان أسمر منها لونا وأشم منها  
 عريضا ولولا اهداب المسترسله واسهمها المقتلة لعد من  
 أهل الحماسة وأرلى العزم والسياسة وكان مع انصافه  
 بالحركة اذا رأى وردجته سكن وأقبل عليها ويحانها ارتكن  
 واذا أكل معها بقياسا متين ويتطران لبعضهما مبهتين  
 شعر

كانهما تصويرتان على لوح • أوانهما طيران حلا على دوح  
 أوانهما أصنام نوبة أفرغا • على قلب حازا الجمال بلاروح  
 أوانهما نجمان زادا أطاما • لبعضهما خوف الفراق عن الصبح  
 وفي وصفهما شعر

والفان طول الدهر لم يتفرقا • كانهما جسمان والروح واحدة  
 بنظرة عين وابتناسا تراهما • يدبان في المعنى على كل فائدة  
 ثمان الست بدور لما رأيت أن بنتها كبرت • وفي ديوان النساء

ظهرت همها أصرها واشتغل بها ففكرها فكانت دائماً تنوجع  
 لي منها وفي كل وقت تكلمني عنها وتقول اذامت ماذا يكون حالها  
 بعدى ولم يكن عندها من حطام الدنيا شيء ولا عندي وكانت لها  
 خالة من بنات كابر من أغنياء أهل الجزائر غيرهاها عجوز  
 شهيرة بخيلة مترهبة وكانت آتت أن تساعدنا بشيء من مالها  
 لأنها تزوجت بشاب ليس من رجالها ولما ان رأيت المستبدور  
 قسوتها صدمتها ودهجرتها وعزمت على أن لا أتسألها في شيء أبداً ولو  
 انها مدت من الفقر يدداً لكنها الماصارت أم ولد ولم يكن لها  
 غيرها أحد هان عليها السؤال فكتبت اليها في الحال فقالت  
 أما بعد فهذه رسالتي الى سيدتي وخالي وإلى الآن في جزيرة  
 دو فراس أشقى بلاد الناس وقدمات بعلى وعدمت بعدك  
 أهلى ولى ابنة بلغت رشدها وطاب نهدها وحالى صار يرثى  
 اليه ولم أجد غيرك من أعول عايله فارحى البعيد لبعده والمسكين  
 لغايه ووعدده واحسنى بعد حرمان عشرين سنين ان رحمة الله  
 قريب من المحسنين

قال فيكث هذا الكتاب مدة لم يظهر له أثر ولم يأت عنه خبر  
 فأرسلت خطاباً ثانياً فيكث مكان الاول حتى انقضى العام  
 وتحول فعزيت بثالث خطاب فلم يرد عنه جواب ثم لأمضى  
 لذلك نحو من سنتين ورد حاكم هذه الجزيرة يقال له أبوردين فبلغ

الست بدورانها ورد لها معه خطاب من عند خالتها فأبقت  
 بأصل حالها وأسرت إلى المدينة ولم تعبأ برثاءة ملبوسها  
 وقلة فلبوسها ودخلت عليه فسلمها الكتاب فأخذته  
 باستهباب وفضت ختامه وقرأت كلامه فاذبه بلغني  
 كتابك الشنيع ولفظه الفظيع الربيع فسرني ما أنت  
 عليه من سوء الحال والاحتياج إلى السؤال وهذا لا شك  
 جزاؤك على فعلك فأهنيك على موت بملك فانه كان من رعا  
 المجرمين وأرذل الفاسقين وان انقطاعك في هذه الجزيرة  
 خير لك وأحسن من أن تظهرى بالخزى بين أهلك فان هذه  
 الجزيرة تغني المرء على عجل ان لم يكن مثلك من أهل الكسل  
 ثم ختمت خطابها بمدحها في نفسها وانها ما ترهت الا لاجتناب  
 عواقب الزواج المؤدية إلى الحرق واللجاج مع انها ما مدعها  
 في الحقيقة عن ذلك ولا أحرما مما هنالك ألانها لم تعتبر بأحد  
 من الامرا ولم يخطبها على ما لها بعض الوزراء وذلك لخبث خلقها  
 وسوء خلقها

ثم لم يكفها ما ذكرت وما اقترحت من الكيد وابتكرت  
 حتى وشت الحاكم في حقها وخاصمت له في مرضها  
 فأول ما دخلت عليه ووقفت بين يديه نظرا اليها شرا  
 وأوسعها نهر اوزجرا وقابلها بالاستكبار وكلمها مع غاية

الاحتقار مع انه ما نظر اليها أحد الارق لها وبالبر والاحسان  
 قابليها فكانت كلما افصحت لهذا الحاكم عن حالتها وذكورت له  
 أمر ابنتها أجابها باطراف الكلام **كقوله** - رزقي  
 والسلام ثم صار يباكنها بالحنين من ساعته خاليتها  
 وخطأها وذنوبها وبمثل تلك الأقوال عنفها وعذبها  
 فرجعت الى بيتها وهي في غاية الهم والكدر والالم والفجور  
 ورمت بالخطاب على مرتبتها ثم قالت بعد لصاحبيتها لقد  
 تمت اللذة والمساكنة وهذا جزء صبر احدي عشر سنة ثم  
 أخذت الكتب وكلهم عندها حاضرون وقرأته ثانيا وهم اهلها  
 سامعون فلما خاضت من قراءته وتخاصت من اليم عبارته  
 قالت اهلها أقعوان ما السبب لهذه الرذالة ومن أحوحنا تلك  
 الخالة اليس انما رب يكفيننا بطعمنا ثم يسقينا واذا مرضنا  
 فهو يشفيننا سبحانه لم نجد الا لها غيره رزقنا واسبل علينا  
 خبره فعلىم التأسف والحزن والمقت في البدن انك لمن  
 الجاهلين وان الله مع الصابرين فبككت الست بدور بكاء  
 شديدا وأكثرت نواحا وعديدا فضمنها أقعوان لصدرها  
 وجعلت تناطف بها وتسكن غيظها ودمعها وتزبل ألها ثم  
 خنقها البسكى فبككت معها وأرسلت عليها أدمعها فأنبلت  
 عابها وردجنة نيكى وتقبل أيديهم - ما و تشكى ثم جاء قبول

بهر خويهر كيديه ويرى بشر الغبط من عينييه وهو يتمر مر  
 ويتالم من هذا الخطب الذي ألم فلما أحس مرجان ومريم  
 بتلك الرجاء وسمعاه هذه الضجة أقبلتا يتضرعان اليهما  
 ويتوقعان على أرجاهما حتى أكنما مقام بهما فقامت  
 الست بدور الى قبول وورد جنه وأمسكنهما والى صدرها  
 ضمتهما وقالت أنما سبب همى وغنى واحتياجى الى خالى  
 وعى ليكنكما الآن اذى وسرورى ومنأى وحبورى  
 فباليتمنى من هنا ما خرجت ولم أكن لافرس السؤال أسرجت  
 فن الخارج أنتنى المضره وأما هنا فخرى الهنا والمسره فلم  
 يفهما ما قالت ولا أدركا ما اليه أشارت بل لما طابت نفسيها  
 وابتممت وانشرح صدرها وتكلمت أخذتا يداهما  
 ويسلبانها ويلعبانها ورجع الكل لما كانوا عليه من الهنا  
 مذ زال الهم والعنا وكأنها لم تكن الا عصفرة هاجت  
 وخشعت أو سمابة ظهرت ثم تقشعت

ولقد اذداد قبول وورد جنه فى الجسم طرفا وفى الروح رقة  
 ولطفما وكما حسن الله خلقهما فقد حسن خلقهما فاتفق  
 ذات يوم ان خرجت أمهاتهما ببعض الزيارات والمطلعة على  
 فقرا الجارات واذا بجارية أقبلت تستظل تحت الموز وترجو  
 النجاة والفوز رثة الثياب حافية الاعقاب فلما ان رأت

وردجنة ترامت عن قدميها ووقفت تمذلل بين يديها وتقول  
 لها سني ارحمني وبعين العناية انظر بني قاني جارية أسيره  
 وخادمة فقيرة حقيره هربت من سبدي وعذابه وما صدقت  
 ان خرجت من بابه ولي مسيرة شهر وأنا أمشي في الجبال حتى  
 ذقت الوبل ولوبال وبشت من الرجوع وعدمت النوم  
 والهجوع وهلكت من العطش والجوع وما أثر الضرب  
 على جسدي وعلامه القيد في رجلي والوثاق في يدي وكنت  
 عزمت على أن ألقى بنفسي في البحر أو أغرق في نيل النهر وما  
 منعني إلا بعض الأمل وان أرى خيرا من سكان هذا الجبل  
 قال فالتفت وردي جنة حالها وسمعت ما جرى لها أخذتها  
 فبها شفقة ولم يره ونحركت فيها الضوء والفتوة وقدمت  
 لها طعام العبيد ولم يكن عندها فقيره لهذه الليلة وقالت لها  
 كلي واشربي وطيبني واطربي فحاشا بضام تزيل الكرام  
 ولما ان هامت انها شبعت وبالراحة تمتعت قالت لها يا مسكينه  
 اني أريد أن أنبئك وأذهب الى سيدك معك وأسئله العفو  
 عنك وهو إذ أراك في هذه الحال يشفق منك لانه لا يحاله أن يدين  
 اليه أن ترجعي وأن تسكوني معي

شعر

قالت لها ورائك وراي • وحق من يصنع براي

قد سخط الله على العين العمى      ان لم تكن بنورها تراكي  
قال فتبادت وردجته أخواها قبول      وقالت له ماذا نقول أنريد  
أن تذهب معنا وهذه الجارية تدب معنا      حتى نوصاها بالمال كها  
ونطاب منه العفوة عنها فقال

شعر

مر بني بما شئت أن تأمرى •      ولو بالقسام الى قيصري  
فعلك اذا اتسع الخطب ذرعا •      فجمع كالحتم في خمصري  
قال فساروا الجارية امامهما      تقودهما وتمشي بهما      بقطعان  
الغابات      ويخترقان ما يطبق من المفايزات      وكلما اقبيا جبلا  
عليه تسلقا      أو صخرة بها تماقا      حتى وصلوا في الظهيرة الى  
بيت حوله سرروحات صكثيرة      وفيه جم غفير من البصري  
وعدد كثير من الاسافل والامرا      مشتهين بجرأة الارض  
وفلاحنها      وبذرهما على بعد مساحتها      وبينهم رجل يابس  
الجسم عظيم الجرم      طويل القامة عليه هيئة الاماره  
والشوامه      حائر العينين أسودهما      كثر الحاجبين مقرونها  
فامارته وردجته عرفته      وبالرياسة وسمنه      فاقبلت عليه  
وتقدمت هي وأخوها بين يديه      وقالت له وهي منه مستغربة  
ومن هيأته مضطربة      بالله عليك الاماء فوفت عن هذه المسكينه  
فان روحها بين يديك رهينة

فكان الرجل لما نظر اليهما ورأى حقارة ما بهوسهما كاد  
 أن لا يسمع لهما قولاً وأن يخرجهما من باب أولى لئلا يكتنهما  
 وقع بصره على ورد جنسه وسمع منها الشدة والفتنة انحنى  
 عن صبره واتصاعدت ابخره كبره وأقبل عليهما كل الاقبال  
 ولان لهما قلبه ومال وقال فيم جئتني وعن أي شيء سألتني  
 فقالت أسألك عن هذه الجارية عفرا وأن تعفو افهوا أقرب  
 للنفوس فاقسم بالله انه عفى عنها اكراما لها وحياء منها  
 فأشارت وورد جنسه الى الجارية أن تقدم على سيدها وأن تمد  
 اليه يدها ثم رجعت بعد ذلك وأخوها معها وهي تسمع عن  
 الفرح آدميها وسارا يقطعان السهل والوعر الى أن اذن  
 عليهما العصر وهما في كدوت غيب وعطش وسغب وما صدقا  
 ان لقيبا في طريقتهما شجرة فتظللان تحت فروعهما المنتشرة وجلسا  
 تحتها برهة على وجه الراحة لا على وجه التزمه فقال لهما أخوها  
 وهي في هذه الحالة وقد رأيت أنهما هالكان لا محالة أليس بالله  
 انا تعبنا وان الجوع والعطش قد أضرا بنا فان رأيت أن  
 ترجع الى هذا الزجل وتقبله وفيما تبسر من الماء كول نسأله  
 فان لنا يوما بغير انطار وقد كاد أن يمضي النهار فقالت له والله  
 لا يكون ذلك أبدا ولا نسأل في طعامنا أحدا أما سمعت ابي  
 وهي تقول ان سؤال النظام من الفضول فان من سأل ظالما

مطاما فقد امتطاهي فقال لها وكيف تفعل أمالا ونحن  
 لا نملك جاها ولا مالا يا ليتني في هذه الغابة أجد ثمرا ندبا أو  
 شجرة لامرئيا فترتوب به صارت وتنجين من العطش وصرارته  
 فقالت لئلا الله تعالى وجل جللا فانه قريب سمع بحبيب  
 وما تم نوالها الا وسمعا خبره بين فبادرا اليها ورقعا من شاة  
 الطمأعاهما وشربا من مائها الصافي وعذب رضاء بهما لك في  
 ثم جمعا شاة من الحشايش بأكلانه فلم يقدرا على شاة  
 فصارا يهتكان عن شاة من الاثمار أو بعض نخيل من ذوات الجوار  
 فرأت وردجنة نخلة صغيرة امارأ من كبره فهم قبول  
 باقتلاعها فقامته وأنفذت قوته وأنبتته فأخذ يجرقها فلم  
 يجدنارا وكلف نفسه صبرا وجهدا وطبارة بل تذكر ان  
 الرثوج اذا أرادت ابتعاد النار في الخشب أخذت هودين بابسين  
 من الحطب وحكتهما معا ففعل تلك فأرادها ثم جاء بالنار الى  
 جذع النخلة فأوقعتها من أساسها خاهما ومارى بحرق لهما  
 وبقلب فمرفها حتى وصل الى النخاع وأخرج منسمة قد رذاع  
 فأكل منه وطابت نفسيهما ونعم بالهما وانديسطا من تلك  
 النعم السارة ومن الجميل الذي صنعاه مع العارية الفارة ألا  
 انه خطري بالهما ان أهمهما في نتظارهما فمدا وتأسفا  
 وأسبلا دمههما ركفكفا

وكانت وردجنة نذ كراهف الامهات وتنشد هذه الايات

يا ويح قلابى على نساء • قد لقبوهم بالامهات

يحمل طول الزمان هما • الى البنينا والبنات

وكل خبرهن ماض • وكل خبرهن آتى

ما تم حظهن الا • بدله الله بالمسرات

فقال لها قبول وقد احسن أن يقول

وحق حبي لك يا اخنأ • وما اعترفا بى وما اتاه

استرين اليوم امهاتنا • ولنبين من معافى بيننا

ثم شرع يمشيان قماها من الطريق ومدا الرقيق فقال قبول

لوردجنة لا تخافى من شىء أبدا ولا تحملى هما ولا تسكدا فأتا

أعرف ان بيتنا جهة الشمال لا يبعد عن ميل الشمس وقت

الزوال فامشى بناء على عجل الى هذا الجبل وكان يسمى

بجبل الثلاثة أبرار لامتيازهم كل الامتياز ثم نزلا على منهدر

انهر الاسود وأشرقا على أرض فدفد فانفق أن تعرض لهما

نهر عريض فى ممرهما وكان هدير التبار كثير البيل والاختدار

واقعا فى أكبر أجزاء الجزيرة فاطمأ فى سيرة لصخرات كثيرة

فانزعجت وردجنة من ظليانه وشدة هديره وفورانه وما

أمكنها أن تمر منه وأعرضت كل الاعراض عنه فقماها قبول

على عائقه وتحفظ عليها بمرافقه وصار يخطى بها زان الاجمار

مقعده الشديد الاخطار وهو يقول لها لا تخافي فاني أحسن  
 بالقوة وأنت على أكتافى فوالله لو ان صاحب الجارية الهاربة  
 لم يمكنك مما كنت له طالبة لنهرته رشتته وهلى وجهه لطمته  
 فقالت له كيف ذلك وهو أكبر منك وقوى عنك فوبلى أنا  
 التى أتعبتك والى الشر عرضتكم وقربتك وما أصعب فعل  
 الخبير وأثقله وأعرضه على الناس وأطوله وهكذا يمثل هذا  
 الكلام كانت تكلمه وترشده للطرق وتعلمه حتى قطع بها  
 النهر على عمل وأراد أن يصعد بها الجبل الا أن قوته لم تساعده  
 ولم تقوه على حملها سوا هذه فأزلاها على الارض وجلس وهو  
 على آخر نفس فقالت له ورد جنبه ان النهار قد زال وظل  
 الاشجار قد طال وانى قد أشرفت على الهلاك ولا يمكننى أن  
 أذهب واياك فانزكنى أنت هنا واذهب وحده لأمهاتنا  
 فتطمئن بك قلوبهم ويأتون معك كلهم فقال أنا لا أتركك أبدا  
 ولست أفصد فى نجاتك غيرى أحدا حتى لو جن علينا الليل ونحن  
 فى تلك الاجه ومنعتنا من السير الظلمه أو قدم من الخطب  
 النار وأحرق نخلة ذات جمار فستنسب برينارها وتتغذا من  
 جمارها واصنع لك بيتا من سعفها وفرشامن ليفها  
 قال فهرفت النظر من الروح والتفت لما فى رجليها من  
 الجراح وأخذت تنزع من ورق الشجر لان قدمها قد

أدماهما الحجر وانها الحب الخبر ما انكثرت في فعلها وماتت هرت  
 في عواقب فعلها ولما ان قل توجهها وكثر الى الزاح أطاها  
 قامت تستند على أخيها باليمن وتسكى على عصى يدها  
 البسرى

ثم صارا الى مهمل فاصدين طريق الجميل لكنهما بالعلو  
 الاشجار وكثافة أوراقها وكثرة اذعافها وانطباقها ضاع  
 منهما ما منظر الجبل الذي كان اتخذه دليلا ثم مالت الشمس  
 للغروب قليلا قليلا فنادى عن الدرب الذي كانا انبعاه وبقيا  
 في حيرة من ضل وتاه لم يريا فوفيهما غير الشجر ولم ينظرا تحت  
 الا الحصى والحجر فأجلس قبول وردجته وصار كمن أصيب  
 بجذبه يجرى من شجرة الى شجرة وبطام علوة ويتزل حفره يبحث  
 عن الطريق الذي فقد فاستدل عليه وما وجد ثم صعد  
 على شجرة عالية فطوفها غير دانية فلم ير الاروس باقى الاشجار  
 وعلها صبغة الشمس في أواخر النهار ورأى الريح قد سكنت  
 بعد الهبوب كما يحصل ذلك عادة وقت الغروب وانتشر في الجو  
 السكون وأقبلت الحيوانات الى بيوت فلم يسمع الارغاء  
 الغزلان ونعيب الغربان فصاح قبول بأعلا صوته مناديا  
 لعل أن يرى أحدا من الصيادين آتيا ولما لم تأت أحدا به ولم  
 يرد الا صدها عليه نزل من أعلا الشجرة وقد أعياه التعب

وأضناه اليأس والغضب وعزم على المبيت في هذا المكان وإن لم يكن فيه انسان ألا أنه لم يجد مأوى ولا حطباً ولا نخيلاً ولا خشباً فيشتر واشتكى وألقى بنفسه على الأرض وبكى فقالت له ورد جنة لانبيكي ولاتأني ولا تشتكى فأنا السبب في عذابك وعذابك وما أترى أمهاتنا من قباني وغيايبك وكان قصدي بذلك قبل الخير لانه يكلف الشقة في السير فمأعظم جهلي وأقل عقلي ثم بكيت وتوجعت ورفعت يديها الى السماء وتضرعت وقالت  
شعر

يا من له العزة والدوام • ومن على نبيه السلام  
هي • لنا من كل أمر فرجا • وكل هم ومضيق مخرجا  
فأثم دعاها الاوطارق لباب الفرج يفتح بصوت كلب يشج فقال  
قبول ان هذا الكلب من كلاب الصيادين الذين يأتون ليلاً  
في البساتين ثم ازداد به بذلك تبعه وقرب منه ما صدحه  
فقالت ورد جنة لعله كلمنا ولعلنا بالقرب من دارنا ثم مالبتا  
ان حضرا الكلب عندهما ووقف يتمتع بهما ويقبل  
ارجلهما فاندھش الرقيب فرحا وانبططاً منه وانشرحا  
واذا بمرجان صدهما على أثره يجري وكان لايه لم مكانهما ولا  
يدري فلما رآهما بكى فرحاً وطرب وأخذ بهما الذهب  
وبعد ان ثفاق قال لهما يا أسبادي ان أميكاني أشد العذاب

على بعدكما وحصل لهما مزيد الفهم بين رجاء الدار ولم يربا كما وكنت  
 معهما الزبارة إحدى الجارات وكانت مريم في المدينة لقضاء  
 بعض الحاجات فلم تلم أين توجهنما وصرت أبحث في كل مكان  
 منكما ثم جئت ببعض ملبوسكما وأشهدته الكلب فظن لما  
 أشرت إليه وساروسرت منوكله عليه ساعيا بين يديه فأتى بي  
 إلى النهر الأسود ذي الحجر الجامد فأخبرونا أنكاجتما وكانت  
 جارية معكما وإن سبدها مني عنها كرامة لكما لئلا أفساه  
 وأي حقوقي عنها وقد رأيتها ودنوت منها فإذا هي موثوقة  
 العنق واليدين مكبلة الرجلين فتركتهما وتبعتهما الكلب أمان  
 وهو يدخل بي من مكان إلى مكان إلى أن وقف ينبع ضد نخلة  
 واقعه ونارها البعوط العبه ثم أتى بي إلى هنا وبلغني برؤيا كما  
 المنى ونحر الآن على سفح الجبل الرابع على البعد من منازلنا  
 بأربعة فرائخ فكلنا قبلا حتى تدب فيكما العائيه ثم  
 أعطاهما الطعمة كافيه وأعطاهما شراب السكبييل وبعض  
 من مربي الزنجبيل

قال فتهدت ورد جنسه على ما أصاب الجارية بعدهما وعلى  
 ملاقاته أمهاتهما وأما سرجان فأحضر خطبا قال له الدور  
 من شأنه أنه يحترق وهو أخضر ونعل به فله فأخرج منه شعله  
 واحنار أمره بعد ذلك في الرجوع بهما لأن كثرة المشي قد

أودت بأرجاهما وزددين أن يتركهما وحدهما ليطلب من  
يستعين به على تقالهما وبين أن يبيت في تلك الغابة بهما وقال  
لهما مناسفا حاسر البال كاسفا

مضى زمن كنت فيه قويا • أفوق به زمي على الفائق  
وكنت شديد القوى كالحديد • وأعلام من الجبل الشاق  
إذا ما حانت كما ساءة • كافي برش • على عاتق  
ولقد صرت الآن قلب العافية • والله لا تخف عليه خافية أسئلة  
بمنه وكرمه أن يسخر لنا هونا من غامض ماله فأنتم دعاة وكل  
انشاده وأنشأ • الاوتقر من العبيد قد مر ووقب عندهم  
ونظر فعرف ورد جنة وقبول وأشار كبيرهم بقول انكما  
والله من أعجب لمبيض خافا وأحسنهم خافا فقد رأينا كما  
صبيحة هذا اليوم عند شجر اللوم ومعكم جارية من الهير  
الاسود جاران اهما من يدها مقربان لها الى سيدها وطلبتا منه أن  
يعفو عنها فلا بد أن نحملاكما الى داركما ونركما الى أمهاتكما ثم  
أشار الى من معه من العبيد أن يصنعوا له ما هو دجاء من الجريد  
ثم أجاسوه ما فيه وحملوه جملة ومشوا ووسى مرجان امامهم  
بالشفقة فقالت ورد جنة لا خيما انظر كيف يسر الله لنا  
بالخيرات جزا لما فعلناه من الطيبات قال فوصلوا نصف  
الليل الى سفح الجبل فتطروا الى رؤسه عدة شعل وسمعوا على

البعد من يقول هل فيكم وردجنة وقبول فصاح الجميع نعم هم  
 بعينهم قد يسر الله بهم ثم انكشف الظلام عن امهاتهم ومريم  
 فحمل شهلا من ورائهم فقالت الست بدور أين كنتم وكيف  
 حلفتنا ورحم فانكم مذقتم صنعا من الصواب وبقينا  
 في أشد العذاب

فقال وردجنة كذا في النهر الا - ودنفع في جار يقبدها هناك  
 وكانت أعطينها الفطور لانهما كانت أسرفت على الهلاك وقد  
 أتى هذا الرط بنا وحملونا الى هاهنا فانقضت الست بدور  
 من ابنتها والى صدرها ضمتها فلما أحست بدموعها  
 وشدة تشوقها وولوعها قال لهما كفا لك ما قاسينيه في هذا  
 اليوم وانك قد أحرمت لذاتك ثم نهأ دخلتا العنة معها  
 وكان قبول يتبعها فضاقت أفخرا من ابنتها ضمتها متناق وتاحت  
 عند التسلاق من ألم الراق ثم دخلوا بيوتهم جماعقرا وأعطوا  
 العبيد أكلا كثيرا حتى خرجوا من عندهم شاكرين ولهم  
 داهين بالخبر أجمعين

قال وكانت أيامهم أيام أعياد وصدف انهم بغير معاد فلا  
 الآتي بهم ولا الماضي بينهم ولا شغل لهم بالمناصب التي  
 تكسبها الدسيسه والطباع الخبيسه ونذهبها النسيجه  
 والاخلاق الذميمة بل كانوا مكتفين بيهضهم كل الكفايه

عشيقين عن الوالي والولاية لهم من أنفسهم شهود وحكم ومن  
 كلاءهم مواعظ وحكم لا حاجة لهم بأن يتشبهوا بأخلاق أهل  
 الأمصار في حب الاطلاع على شيء من الاخبار بل كان  
 فضاهم بينهم منسيا وذكرهم مستترا خفيا ان سبل عنهم قبل  
 اناس من الطيبين وحزب من المتقين

شعر

كانهم زهر البفسج لا يرى • ولم يك لولا عرفه قط يعرف  
 وكنت لا أسمع في سيرهم غيبة ولا نعيمة ولا شيا من تلك  
 الاقوال الذميمة فالنعيمة تلوح في ثوب الحق على الطاهر وهي  
 نسي ما لا يرى وتشين الضمائر فان قيل لك من احدائه من  
 الاشرار أضمرت له العداوة كل الاضمار وقابلته بطواهر  
 الصفا وانت ناوذة من القطيعة والجفا

قال الشاعر

ان النعيمة تفسد الاخلاقا ونكد الاهداء والافاقا  
 بكفيك منها في الرذائل انها نكد والمهذب صريفة وثفاقا  
 وكان من شأن هاتين العايلتين أن لا يشتهلا الا بكل حسن زين  
 بعاملان الناس باحسان ولا يتغيبان أثر انسان ومع  
 هبتهما في ظل الوحدة ووحشة العزلة فاذا اذا الانسا  
 وبهجة وفصاحة ولهجة لانهم ما من قصص العالم مبعدان

ومن أخلاق المدن من مردان وقد اعتاضا من محاسن الطبيعة  
بأذنة تفوق الذات ومسرة من دونها جميع المسرات بشاهدان  
تلك اللطاف الالهية والتخيرات السماوية كيف بدأت محل  
الغضر بنحسوبة وبأبسر الجوير طوبه وماح الماء بعد ذوبه  
وأنبذت لهما المرعى وكان غشاء أحوى انها لنعم المأوى  
وجنة المأوى

قال ولما طبع قبول اثنى عشر سنة من الكبار  
لانه أدرك من الذكاء وقوة النبوة ما لم يبلغه ابن خمسة عشر  
في الامصار فكان يشتغل بتحصين ما يقع عليه من مرجان  
وكان دائما معه أينما كان يذهب الى الغاية بفاسه الصغرى  
ومغلة القصير بقتل ما يراه من شجر الليمون والذاتج العطير  
والثمر الهندي النضير والخبيل ذا الثمر الحلو الكثير ثم  
يخرسها حول الحوض مع بقية أبقار من الاشجار ذات الفواكه  
والازهار كالقشطة واللعل الفارسي والقاون الهندي ثم  
ماراج من الباب القنا واللبا والوف والمبلاط والحبيسة  
الحمقا ثم البقية دونس والكسبره وغيرها من ذوات  
الاوراق المزهره ولم يترك قطعة من البور الا برقسها وأبرأ  
نسمها حتى لقد قرص الصبر مع مرارته والقافل على حرارته  
وما ترك شيئا من الازهار الصفرا والورد والحمرا والخلوات

البيضاء والفصوص الزرقا ورتب كل طائفة ترتيبا يسر الناظرين  
 ويهيج المتفرجين فيعمل لزرع الفصير في بطون الوديان  
 وجعل فوقه كل عالي الاقصان ثم الاملا فالاملا والاحلا  
 فالاحلا ليتمتع الراي بالنظر اليها مرتين وينشرح من وجهين  
 فان نظرت مرة واحدة شرح العيون ولا قدده  
 ثم غرس الخضراوات على شق معزول ومكان مفصول  
 واحاطها بدروب من البر والارز والشعير وسائر الغزل على  
 الفنق والفسطاطير ولم يخرج بها من مراعاة النظير ومما سببه  
 الطويل الطويل والفصير الفصير كالبيات الذي يجب الهوا  
 جعله في الهوا والذي يجب الماء جعله في الماء وكان الماء ان صدر  
 من رؤس الخضرات لبطن الوادي ينشأ كل باشكال مختلفه  
 وهبات مستظرفه فكانت من رقة مائتها وشدة صفائها  
 تنطبع فيها الخضراوات وكافة الاشجار المزهرات وتلوح  
 من خلالها صخور كالقباب على صفحة السماء نص عنها ثوب  
 السحاب ومع عدم استواء تلك البقعه وارتفاع قطعه  
 وانخفاض قطعه فكان لا يبعد النظر اليها بالعين ولا التناول  
 منها باليدين وكما نساها قبول أنا ومرجان ونرشده باليد  
 واللسان حتى عامناه ومرناه والى الفلاحة وطمناه ومهدناه  
 فأصلح طريقا حول الحوض مظله وأحاطه بشجر ذي فروع

مذله ومهد الوعر وجهه مما شئ لترمه وألف بين الشجر  
البرى والاهلى في برهه وكما ازاد من الجبر بناه مساطب  
وأهرامات وأحاطها بما يليق بهما من الثبات ثم ما مضى من  
الزمن كثير ولا انقضى غير كثير حتى اكتمى كل هرم ثوب  
شباب وتلفت المساطب بظلال الخروور والالباب فصارت  
معا كف ومخادع ومساكن ومسامع بتطللون فيها نصف  
النهار ويتغذون منها بجنى الثمار وكان اذا نظر الجالس منها  
عن يمينه رأى يسارنا وعن يساره رأى الخوض بالخصائد ملتثانا  
وان نظر امامه رأى موضع المشتين ونظر الجبل على بعد  
مرحلتين ومن جلس وقت الزوال تحت شجر النسي لم ير من  
كثافته شيئا ينظر فان كان على الضفة الثانية من الجبل  
نظر الخوض وما عليه اشتمل ونظر البحر ومواقفه ورأى  
السفن فيه بين ذاهبة وراجعة

وكانو يجتمعون في المساء على رأس الحضرة فيستمعون بالماء  
والهواء والحضرة ويشاهدون مجارى الماء العذب معجده  
باشعة الشمس وهي نازلة في القرب

وما أحسن ما اخترعوا من تسمية تلك المحلات وأبدعوا  
في وصف المسميات فجعلوا اسم الحضرة المنعجة باسم استكشاف  
الحجبه وكان قبول ووردجنة عند لهما في ريمان شياهما

قد أثبتنا فيها هودا من الخبز ران أرقضينا من نصب البان  
 كاذبنا نصبوا عليه من دبل لا ليكون أقدومي دبل لا كما تنصب  
 الإشارة على حصن الجبل لكل مركب دخل فطربنا إلى  
 أن أنقش كلمات نجت هودا الخبز ران كما كانت تنقش الكلمات  
 على آثار المهر بين والبونان وما خطر بغيري الأيت أبي  
 الملا المصري

شعر

معان من أحبنا معان • نجيب الصاهلات به القيان  
 ثم نقشت على الجزع الذي كان بأري إليه قبول حين كان البصر  
 بهيج وبصول

شعر

من سكن المروج والرياضا • فقد قضى من عيشه الأخرضا  
 ونقشت على باب الست بدور وهو يجمع العائلتين في العشا  
 والظهور

قصر ملك نجبة وسلام • خلعت عليك جمالها الأيام  
 ولما ان رأيت ورد جنه ما على الخبز ران من النقش استظواته  
 وأحابت من كنبه واستجهلته وقالت هذا كله محوى وكلام  
 لغوى قلبك لومته وكنت نجته

أهاجه الهرا • ونظ ما هوى

فقلت لهما ان تلك الكلمات من قصائل البنات فاحمرت  
من الخجل وولت على عجل

ونهاية الامر فقد نشرت تلك العائلة ما ذكره صدرها على  
جميع ما حوالها فقصت برفيق الاسماء كل شئ يلحق بأن يكون  
المسمى كشجرات من الموز والمارنج والقار كان قبول وورد  
جنة برقصان فتحتهما في آخر النهار فقدموها بالخانة وكشجرة  
قديمة سكّات الست بدور واقعه وان تقدمتان تحت ظلهما بما  
أصابهما حين كان الفكرة يقوم بهما سميت بدار السلوة  
والامانة وسميا بعض الجهات التي بها البر والحمد من باسماء  
بلادهما وكذلك العبد والجارية تقابلا بآبائهما سميا  
بعض محال باسماء بلادهما

فانعم بهما من تعلقه تروح الفؤاد وتسلو الغريب على البلاد وكم  
من شجرة من تلك الاشجار التي تراها اليوم مهيورة قد تمتعت  
منهم باسماء مشهورة وغير مشهورة وهي الآن كرسوم  
الاقدمين وأثار اليونان والمصريين

شعر

ثم انقضت تلك السنون وأهلها \* فكانها وكانهم أحلام  
وقال ابن الوردة

ان أهني عيشه قضيتها \* ذهبت أيامها والاسم حل

ولم أراحـــــ من منظر من تلك المسميات وأكثر بهجة بين سائر  
المحلات من المكارسمى بخملوة وردجته فإنه كان بقعة من  
بقاع الجنة وذلك أنه كان عند الحضرة المستحبه المسماة  
بأستكشاف الحبه عين جارية عذبه تسيل على بساط من المروج  
الرطبه وكانت لما وضعت أقدامها فيها دعنتني يوما عندها  
فأهدبتهما من ثمر الهند بجوزين فغسرت أحدهما بالقرب من  
العين لتكون الشجرة تار يخال مولده وقربنا المحنـــــه ولما  
ولدت وردجته غسرت أمها جوزا أخرى بجانب الأولى فصارت  
مثلها وإن لم تشبهها طولا ثم أنبت الله الشجرتين نباتا أحـــــمنا  
حفظهما مع قريبهما زمانا ولما بلغ الولدان من العمر مائة  
عشرة سنـــــه وأفرغاني قال ما أحـــــمنا صارت الشجرتان  
يفوقان الدور في الارتفاع إنما كانت شجرة قبول أطول من  
الأخرى قدر باع ثم التفت الساق بالساق وانضمت الفروع  
للعنان فصارا كهية عاشقين وأدلى الجوز على العين وترك  
سفع الحضرة على ما خلق من فواقعها الصغرى والكبرى  
وأجارها البيـــــمى والبسرى مع خضر أحشائها الزبرجديه  
وحمر أورودها الجورية وصفيق حشباتها الرائب في جدرانها  
ومرجاني شعابها النبات في قدراتها ثم ما حفت به شواطئها  
من يافع القرظ ولزاهى الياسمين والفيل وما بدلى على جوانب

الجبل البيضاء البقعة من تلك السمات الداية لمتقته فتكون  
 بمنزلة الحبل الاطاسيه للفرش السندسية والحواشي الهندية  
 على الشباب الصنعانية فبراهم الطير بعيدة المذال حميدة  
 العاقبة والمال نياوى البهانهاره لله وحى بها افراخه والعيله  
 قال وكانت غيل وردجته لى ارنسريج ووما الخرع وتفضل  
 بعض الملبوس فى ماء المنيع اوزعى قطيع من ابناءه فى أطرافها  
 الخفضه فتكفست ماءه ومرطاه وظله ولا علم قبول انها غيل  
 لهذا المحل ونألفه وتتردد عليه وتستأطفه صار كاماطام  
 الغاية ورأى عش طير قابله فى هذا المحل فقله حتى ألقته  
 الطيور على اختلاف أنواعها وصارت تاتى اليهم وردجته كل  
 يوم بهاءها فتقطع من الفلذ ونظم دأبها من ايسله الى  
 ان مكفها لها القطا وأمن من الخطا ونام بغير خطا وأوت  
 اليه البلابيل وكثرت النعماء وبرو من اجله حتى ريش كالبلبل  
 فى طرفه الشفق ومن عليه أثر ديم من الشرق وذى قوايم  
 كالقندم ومناقير كالمنم ومن لاس طوق الفضة على نوب من  
 العصبه ومخضر بوشاح من زبرجده لا أقول كالذهب  
 فى الاكياس ولا كاللجى فى نفيس الباس بل أبداع من ذلك  
 وأصنع مما هنا وهناك ان ظفرت بتصوره أعياك الانصاح  
 ولو كنت مستهدا من المصباح لنفد ما فيه وما فى العصاح

شعر

فلله ما أحلا غلاما وقيينة • على الخير شبها والحنانة والبر  
قد اتفقا فاستأنس الوحش منهما

وحني سري التأليف في معشر الطير  
هذا وكم سرّة أكلت معهم في الخلا • واجتمعنا في مكان راق  
وحلا ولم يتكلف مطعمنا سفك دم الحيوان مع انه كان كثير  
الدسم والالوان كالابن والقشطه وبيض الدجاج وفطير الارز  
على ورق الديباج وفواكه شتى ومطاعم من شجر ابن متا  
فما كان أحلا ثمارهم وأثمارهم وفواكههم ومفاهمهم  
وأما قبول في مكان لا يتحدث الا بشغل يومه وغده وكان لا يمر غير  
المنفعة على لسانه ويده فيقول هذا الطريق يحتاج للتجهيد  
وتلك الخروق يلزم لها التسديد وهنا يلزم أن يكون كذا  
وبذا لتستريح وردجنه وبذا فاذا دخل عليهم الشهاب مطره  
وهجم السحاب بقطره التبعأ والبيت هم مع خدامهم وجلبوا  
الحوص والخيزران تحت أقدامهم وجاسوا يتحدثون وهم  
يشغلون ومن الحصر والاسباب يصطنعون وتكون  
أدوات الزراعة الى الحائط مسوده وتحتها محصولات السنة  
الماضية محفوظة مرصوده فيخذلون منها مؤنتهم وغذاهم  
ويدفنون بها احتياجهم واذا هم وقد تعامت وردجنه من

الحالها عمل المربات النارجية وأنواع الاشربة الميمونية وهذا  
لا شك يتخفف المزاج ويغني المريض عن العلاج  
قال فاذا جن الليل عليهم أحضروا الشماء في ضوء المصباح  
وتفككوا بالبخوخ أو التفاح ثم غسلوا القدر وحضروا  
وحضرت الست بدور وأخذت ثقتهم خبر من انقطع في مسالك  
الاصوص المغرمة أو حدثت سفن رمت بها الامواج على جزر  
منقطعة فتقتعر لذكراها جلود السامعين ويدهون لهم  
بالنساء أجمعين وكثر ما ناموا على السيول الهاطلة وهي على  
سطح يديهم نازلة أو ناموا على ضجيج الامواج ودوى الرياح  
وهم في أمن شاكرين الله الى الصباح

شعر

وما لهم قط أعياد معينة • بل كل أيامهم أيام أعياد  
الكون معبدهم والله مقصدهم • وصنعه كل يوم بينهم يادى  
قد فوضوا أمرهم لله فاقنعوا • بما لديهم من الملبوس والراد  
وأهمياتهم لما اقتصدت سرى • ذا الاقتصاد الى أرواح أولاد  
عصابة ان أصاب الهم بعضهم • هموا به وأعادوه يا وراد  
كانهم ضفت رعى ضم أفرعه • ليستعين على الأرواح فى الوادى  
فاذا جاء فصل الربيع ذوالقيث المربع • خرجوا الزبارة  
جيرانهم الفقرا ولم يتداخلوا قط • عند الامرا مع ان أغنياء

هذه الجهات كانوا يقربون اليهم على عدد الاوقات ويدهونهم  
الى اصطحابهم والاستئناس بهم فكانوا يعتذرون لهم بالطف  
الاعذار ويتخاصون من ورطة لدعوة الله تعالى اليهم ان  
الاعنياء لا يدعون الفقراء الا لينة فوالله لو انهم مع ذلك  
يتعاطفون اليهم وكانوا يأتون اعداء من قضا البلد ممن  
شأنهم الذميمة والحسد فكان تخصمهم من اجمع من باب  
الاقتصار لان باب الثقة والاستكبار لدا صار لغني  
ينظرهم بعين الاحترام والفقيرة اياهم مع الانقسام وكم من  
فقير أعياه دهره وأرزه عمره فبإيهامهم من شكيا فواسوه  
واستعان بهم فأعانوه وكم مريض أتاهم بدائه فرجع بدوائه  
واستغنى بهم واكتفى ورزقه الله يبركتهم الشفا

وكانت وردجنة تنالهم الدواء يدها ونجود في خدمتهم بأحسن  
ما عندها فترجع بعد شفاهم بأكيه من الفرح شاكرا  
لفعلها الذي شج ثم تأتي مع أهلها لزيارتي فأقول لها أهلا وسهلا  
يجارني الآن وجب على اكرامك وعظم لدى مقامك ثم  
أنجزهم موعدا وأهتم لهم في الغدا وأكون قد  
أعددت لهم شيا من الشراب العتيق بلون العتيق فنطرد به  
جيش الهم ونهزم بسطوته جنود الغم ونجعل مجلسنا في مصب  
نهر التنوير أو بمظلة بجانب الغدير ونكون قد ادخرنا لهذا

اليوم فواكه جنبيه ولحوم طرية وربما اجتمعنا في العذرة  
يوم ريح قطنا تحدث عليه ارنسريح ونظرنا البحر الجاهج  
وتلاطم الامواج فبازل قبول فيه يهرم فيطرد الوجود فيأتي  
وهو مهزوم فتصيح وردجنة صيحة حوب وضجير وتقرل لأحب  
هذا اللعب لانه على خطر

وكان اذا انقضى الطعام ووجب القيام أخذ قبول وردجنة  
من يدها وشرع يرقص بها وهي تغني بالذيد الغملت وتنشد  
هذه الايات

شعر

يا حبيذا عيش الخلا • من الموم قد خلا  
ما من فتى يسكنه • الا وعيشه حسلا  
يا من لاج البحر قد • هوى موبت في اللا  
الارض اهنما مسترلا • لمن أراد مسترلا  
ان لم تنزل به عني • منك فلا حول ولا

قال وكان من عادة عبيد هذه الجزيرة أن يلعبوا التمايزات  
الاشارية ولا يخفى ان الاشارة هي أول لسان للطوائف البشرية  
ومذرات ورد جنسه تلك الالعب همت بتقليدها وانقذت  
في الاشارة بيدها وجيدها وكانت سمعت من أمها حكايات  
عديده فكانت لا تقاد منها الا الاشياء المفيدة فكانت تذاب

نارة وحدها وتارة كان سرجان يسامدها بأن يصاحبها بمزهره  
 ويزيد عليها بعضا من مساخره وطالمماجن الليل علينا ونحن  
 في الغاية جالسون وكلنا ببعضنا مؤتدون فبيت على النجم  
 انما بت تحت الشجر لا خوف علينا ولا ضرر فاذا أصبحنا  
 ذهب كل الى داره فبراهما على حالها لكثرة الامن في هذه الجزيرة  
 وأهلها

وكان أسعد الايام على الولدين مولداهما تنهما فانه اذا أقبل ذلك  
 اليوم عليهما تبيت ورد جنة ساهره لتعظم ما تقدر عليه من  
 الاطعمة الفاخرة وتذهب في قد يبعثه الى كثير من فقراء  
 الجيران الذين لا مقدرة لهم على المطاعم الصالحة شيرة الالوان  
 وكان اعتذارها بقلة الموجود حين كانت تجود أو وقع في نفس  
 الآخذوا كثر شكرها وأعظم عند الله ثوابا وأجرا

وتعده شب هذان الشاiban على سنن الجميلة الاصليه ونشأ على  
 سنن الجميلة العزيزية لا حاجة لهما الى اتخاذ الساعات لمعرفة  
 الاوقات ولا لقراءة الكتب للاطلاع على ما مضى في سالف  
 الحقب بل كانا يقرآن المواقيت بالظلال والفصول  
 بالكسور والسنين بالغلل فكان اذا حان وقت الغدا ولاح  
 زمن الزوال وبدا تقول ورد جنة لاهما قد استوت شجرة  
 الموز بظاهما واذا ولي النهار وعزم اليوم على الفرار قالت شجر

التمر الهندي أغلى ورقه وأخض حدقه أرفلت لها جاره  
 من الزبارة قالت لها في قصب السكر زوركم ونهني به وبكم  
 فتجيبها بكلام منه أحلا بأن تقول لهما أهلا وسهلا وكم  
 مرة قال لي قبول وما أحسن ما كان يقول أراني كلما قابلت  
 وردجة وخموت بها فحاسرت عليها وقلت لها اني كلما  
 رجعت من أشغالي وأراكي وانظر فيك صنع من براكي زال عني  
 تعبى وذهب ظمائي وسفبي وان كنت على شرف الجبل وأنت  
 في الوادي حن اليك طرفي وفؤادي ورأيتك بين الروض  
 وشجره أحسن ما يلوح من زهره وثمره

شعر

واذا مئت بيت لدارنا فآرى القطا

وصفارها أردى وأبطام من مشى

أوقبت عن عيني تحت أريكة

تخبأني جسمك في الجفون وفي الحشى

واذا مئتك عامدا أوساها طرب الفؤاد من المسرة وانتا

أندكرين يوم حماتك على ظهري وعبرت بك النهر وأنا أجرى

صكاني رزقت بحملك جناحين أوزددت على رجلي رجلين

آخرين وأنت قبل ذلك أمياني السير فكنت بحملك أن

أطير فبأى حسن بهرتيني وأى عجز حرتيني ان كان

بعقلك فامهاتنا كبر مناعلا أركان بجناتك فهما أحسن منا  
 قولاً وفعلًا أذن نك لكثرة ما أنت عليه من الطيبة فانها  
 نيك عجيبة ولم أنس ما صنعتيه مع الجارية الفارة وما فعلت  
 معها من الأمور السارة فخذى هذا الفرع المزهري من البومون  
 فانه أحبه نبي بين الفصون عطرى به عند النوم فإشك  
 واجعله واسطة لاشراحك وانتعاشك وكل هذا الشمع  
 بعسله الشهدى فقد جنيته فوق الصخرات بيدي ثم انعطى  
 بكلمتك على قاي لاستريح من تعبى فتقول له وردجته واحبيها  
 وفرة عيناه والله لانت فى عينى أبهى من الشمس اذا طلعت  
 وأبهج من الرياض اذا أبلعت وان امى وامك لاحب الناس الى اذا  
 أكرماك وبابنهما اسمياك وان توددهما إليك الذ من توددهما  
 الى وتحننهما عليك ألطف مندى من تحننهما الى نسألى من  
 وجهه انك تحبني ولاى شئ تريدني أما علمت ان من يتربون معا  
 يتحابون طبعاً فأنظر الى حماةنا الذى تربى فى دارنا  
 نرى البعض مع البعض ان طار فى السماء أو نزل على  
 الارض واسمهم كيف يتنادمون ومن فرع الى فرع يتراسلون  
 انى والله ما سمعتك تعبت بمرمارك وأنت على الجبل الاوصداه  
 الى واصل فأعبدت غنمه بصوتى وأجشو على الارض لو فنى  
 وأدعو الله ان يحفظك ويقيمك ومن كل سوء يقيك فلاى

شيء تتوغل في الغايه وتتع نفسك بهذه المشايه البس عندنا  
 في البسنان من تلك الازهار كقبيبه من جني الاثمار انظر  
 كيف تصيببت عرقا وزدت من حر الشمس حرقا ثم تمسح  
 جهته بمنديلها وتقطف ورد خده بنقيها  
 قال وبينما هي على ذلك مده تلوح كالورده اذا صبت بداه  
 مجهول وأمر مهول بأن تغربياض عيניה بأحرار وأحمرار  
 خديها بأصفرار وظهرها بالهزال وانطفئ سراج وجهها  
 وزال وتغير مزاجها فصارت تغيب بلا سبب وتخضر بغير  
 طلب وترك ما عليها من أشغال العيله وصارت تهرب  
 والاماكن المعتزله وصارت ان رأيت قبول تهرع اليه وتلقى  
 بنفسها عليه فاذانت منه وقفت وتغيرت واحمرت منه خيلا  
 وتغيرت فلا تقدر ان تنظر اليه بعينها ولا تمسه بيديها فيقول  
 لها قبول ودعه على خده سبول

شعر

كل شيء لما رآك تحب لي • بحلاه وزاد لطفها وزينه  
 وأرى الطيرتها حكام سرور • ولماذا أراك انت حزينه  
 ثم يقرب منها البضه • قهرت منه لاما ولم يعرف قبول  
 ما الداعي لذلك وما السبب فيه ما هناك

شعر

وإذا أصاب المربعض مصيبة • كرت عليه بعدها أضعافها  
 قال واتفق أن هاج الحروا شتند • حتى لم يقدر على التنفس أحد  
 وحالت الشمس في بروج الحمل والنهب الجوب بالنار واشتعل  
 وهبت رياح السموم وثقت أبواب الجعيم وأحلت الأرض  
 وتشتفت وبيست الحشائش وتخرقت وأقحلت البحري  
 والقفار وغاضت عيون الأنهار قل نرى سحابة من البحر  
 مقبله ولا نظرة من السماء نازله بل تكاثرت البخيرة صفرا  
 وتبدلت الخضر بالحمرا وصارت الشمس عند غروبها  
 كالخريق ودخل الليل مع الكرب والظيق وأحاطت بالقم  
 هالة حمرا وانتشرت في الجوخبالات سمرا وضاعت المسالك  
 والمائني وضعت الناس والمراشي وشعت الموارد والمراعي  
 وزهقت نفس المرعى والراعي وانتشر خشاش الأرض وماج  
 بعض الناس في بعض وأحاطت الحشرات برفقها ماها  
 بالحيوانات لترى من دماها

فأحست وردجنة بازديادها ولم تكن تعثر بدوائها فصارت  
 تقوم وتقع وتضطجع وترقد فلا تجد الراحة على أي حاله  
 وشمت من النجاة لا محاله ثم توجهت لفسقية فرأت عينها  
 معافو رار العيون زائده ومبهاها مع انتشار الحيرة بارده  
 فأنهست بكليةها وجلست على حوافها

شعر

خلفي داوود ما ظاهرا • فن ذايداوى جوى باطنا

وقال آخر

سكت من لونه حتى وشدة شوقي • الحريق الحريق فأنقض صبحي  
 وأنوا بالمياه نحوى وقالوا • أين ذاك الحريق قالت بغلي  
 قال فاما البتل ظاهرا جسد بها وخف عنها بعض ألمها تواردت  
 عليها افكار تقايس وتصورات ابكار ومرايس فتذكرت  
 انها وهى صغيرة كانت أمها تنفسها مع قبول فى هذا المكان وان  
 قبول قد أنقذه بعد غاية الاتقان بان نحت به حوضا وجعل له  
 من الرمل الابيض أرضها وفردس حوله سائر أنواع الرياح بين  
 وأغلب ما تزان به البساتين وجهه له حماما للورد جنة وخلوة  
 طامع تنكبه ثم رأته عابها خيال ثم جرت في الجوز المغروستين  
 يوم ولادتهما وانهما التقاه على بعضهما تفكرت في حبها القبول  
 وأشار لسان الحال منها يقول

شعر

أنفوس الصعدا حيث فضائل • جلت براعتها بشير رواح  
 كتنفوس الحسد منافى المرآة إذ • نظرت محاسنها بفكر زواج  
 ثم تفكرت في الليل والخلوة وانها كالعروس عند الخلوة ففرغت  
 من الشجرات بين الممتنعين ومن حرارة لم تطفئها مياه العين

وحملت الى أمها عاضة بفسهما على كعها وكلما بدلتها ان تبنت  
 ما تلقاه وان تنفص عن نهواه غلب عليها الحياء فمستكنت  
 وقبضت على يديها وأمسكت واتكأت على صدر أمها وبكت  
 قال فظننت أمها بالخبرها وعرفت حقيقة أمرها وقالت لها  
 يا ابنتاه بني جزئك لن يبد الموت والحياء والهلاك والنجاة  
 فانه تعالى اذا ابتلى الدنيا يشيب في الاخرى واتشاق تلك الدار  
 بهنون وبالمحافظة على اعراضه شام وكاكون قال الرازي ثم  
 تصاعدت من البحر ابحرة كفيفه فتجاذبتها الجبال المنيفه  
 وصارت رؤسها ترمى بالمرر كاقصر فكانها جبال صفر  
 ثم مال السيل واستوبل الطل وامتلئت القدران  
 وجرت الوديان حتى صار الحوض كالبركة الكبيرة وصار محل  
 العشب في وسطه كالجزيره وأصبحت فوهة الوادي كصب النهر  
 يخرج منه تياره طم يم يصب في البحر وبقيت السكان تحت  
 سفوفها تلهو والله وامر خ وتشتت والريح تدفع وكنت من  
 شد قلع البروق ودخولها في المساكن من الخسوف فري ان  
 الليل صار نهارا وان الجوع على شاموسا وأقارا وقبول مع  
 هذا يخرج من مكان الى مكان ويصلح مع العبد ما يحتاج اليه  
 العتقان وكلما رأى أهله في خوف فراهم وأودعهم بالفرج  
 أو مناهم ولقد أراهم فسموا برأسمه اذ عن قليل نفشت

العواصف وسكنت الرياح القواصف ورائي الجوراء عند  
وسرى نسيم الشمال

### شعر

وقع الجنوب مع الشمال بفقدده واستعمل أحرا باغناك طويلا  
حتى رأينا به ذلك هو الجنوب • بجند لاوه والشمالي طويلا  
فأول ما اشتاقت وردجنة إلى روبة شئ من الأماكن ومالت  
لأنفسه فيه من المساكن كان إلى مخدعه ما تلتقيها وتلتقيها ولعل  
استراحتها كان تشوقها وتشوقها فلما رآها قبول دني منها مع  
الجمال ومد يد اليها وهو من المبرص على وجعل لكنها قبلته  
واستعجبته وأحبت بجانبه منلما أحبت به وخرجا معا  
والجورايق والهو المنتزه لائق قد خلا البستان وقد خربه السيل  
وأوقع به الويل فانتزع أشجاره المثمرة وذهب يقضبانته الزهرة  
وملاء الماشي بالأشجار وردم حمام وردجنة بالزمل والأجبار  
وأما الجوزتان فلم يصبهما إذا بل بقيتا على حالهما وحيدا ولا تسيل  
من المجالس المنضلة والعاكف المنظلة ولا الطيور الصادحة  
مما جرى لها البارحة فانه لم يبق إلا بعض أفراد على رؤس الجمال  
يبدن ما أصاب أفراخهن من الوبال فحين سمعت وردجنة بكاء  
الطيور ونحيبه ومانا لهم من تلك المصيبة قالت لقبول انظر  
ما حل بالطير الذي ألقته والشجر الذي كلفته فلا أمان من

تقلب الأيام وكل من عليها فان وربني وجهه ربك ذي الجلال  
والاكرام

فتنظر اليها قبول وأنشأ يقول

لو أن لي في السماء شياً • لكنت أرويته اليك  
أو كان في الأرض لي متاع • قدمته بين راحتك  
لكنني معدوم ومالي • سواد موعى وقفا عليك

فاحمـر من ذلك ورد خـديها وحـصرتـه بين يديها  
وقالت له عندك صورة ورثتها من أبيك وهي لك بغير شرك  
وقد قالوا عليها أنها صورة أحد العباد وإمام الزهاد فأعطتها  
أنبيكها فأشار برأسه طومالها وقام مسرعاً إلى دار أمه  
وأتى بالصورة في كفه فلما أخذتها أفسدت بالله أن لا تمكـن  
منها أحداً وأن تحفظها معها دائماً وأبداً فلما سمع مقالها وحقق  
صديقها وأمانتها هم بتهيبها فتفكرت وتخلصت من يديه  
وفرت فأخذته من الذهب زياده لما رأى ذلك منها على خلاف  
العاده وبقى متعبراً في أمره من شيء لم يره طول عمره

قال الراوي ثم إن أقهرهم خرجت يوماً من بيتها وتكلمت مع  
الست بدور في زواج ابنتها ابنتها وقالت إن لأحدكم عند الآخر  
منزلة عظيمة ومحبة جسيمة وإن ابنتي وإن لم يدر بأسر الزواج  
ولم يكن إلى النكاح يحتاج لكنه إذا بلغ رشده وصارت

أعضائه مستعمدة لا ينفع الحرس وأبهما ولا يمكن الاحتراس  
 منهما فقالت لهما انهم صغار وفي غاية من الغافة والاضطراب  
 فان نحن الآن زوجناهم وفرحنا بهم ندمنا قد ادى الى حالة أولادهم  
 وربما لا تجد ورد جنة قرة على تربيتهم وانت تعلمين علم اليقين  
 ان صيدك قد باع الهرم وجاريته صارت كالعدم وانما من الهم  
 وكثرة الهم صرت غير قابله لخدمة العائنه سيما ونحن في البلاد  
 الحارة التي تهرم الانسان قبل الاوان ولم يكن انما ممول الا  
 في ابئك قبول فاصبري حتى تقوى بينته وتطهر قرة فيكون  
 عضدنا وساعدنا وعلى العيشه يساعدنا لاننا كانه لم يكن على  
 فاقه وابس انما على الكدم من طاقه وما ضر لو ارسلنا ابنتك  
 الى الهند بخصم التجاره ليدخر منها ادخاره ويعود مع النطارة  
 والمهارة

### شهر

ويحرز الاصناف والنقودا • ويشتري الجوار والعبدا  
 ويعد هذا الخمر وهدي الله • تزوجنه بورده جنسه  
 فانه كقوله اهل • ولم يكن اها سواه بهل  
 ومع هذا انه تشير جارنا • فهو على فاقته جار الهنا  
 ثم الهم بعد ذلك احضروني وفي هذا الامر استشاروني  
 فاستصوبت رأيهم وقلت لهم ان بحار الهند جميله وأخطارها

قلبه سيما اذا اخترنا من الفصول فصلا لطيفا ورأينا البحر  
 فيه من العواصف نظيفا نجتمع لقبول مقدار من البضاعة  
 وعندنا من التجار الذين يحبونه حماءه فلا يغيب الابهض أسابيع  
 في الذهاب ومشاهاى الاياب ولانا خذله غير القطن والابنوس  
 فانها عندنا كثيرة غير مطلوبة وأما في الهند فانها مرغوبة  
 لان لها عندهم قدرا عظيما وتحتاج سيما ثم أوردتهم بأن  
 أشانه الحاكم من هذا القبيل وان استأذنه من الرحيل لكنى  
 رأيت أن أنكلم قبلا مع قبول وانظر كيف يقول  
 هذا ولما ان قابلته وكلمته وبذلك القضية أهملته تهيئت من  
 جوابه الى وما استعمله من الرد على فانه ناشئ عن ذوق سليم  
 وخبير عليم وذلك انه قال لي كيف تريد أن أذهب من هنا  
 وأترك أهلى لأبحث عما يسودونه بالقنا هل في الدنيا تجارة أو  
 بضاعة أحسن من الذراعه أليس الرحا يكسب فهم المثل  
 خمسة بيننا وربما بلغ مائتا وان أردنا تسيرره فهي هنا ممكنة  
 في جميع الأزمنة بأن نأخذ ما يريد من المؤنة ونذهب به الى  
 المدينة فنكسب كثيرا من النقود ولا نحتاج الى وجوه الهندود  
 فان قالت أمهاتنا ان العبد والجارية قد هربا وفي السن تقدا  
 فهما أنا شاب ذو نجابة وكل يوم ازداد قوة ومهلا به وربما  
 ترأتني في السفر نازله أو حصلت لي حاصلة فأكون سببا

في مصيبتهم وداعيا الى بلية هم سيرة اوصحة ورجعة الان  
مخرفة وانا لا اتركها وهي بهذه الصفة

وفي الواقع انه حينئذ يجوابه وادهشني بصوابه وكانت الست  
بدور اطلعتني على امر ابنتها وانها ما عزمتم على هذا الامر  
الا لصيانتها فقصدت ان تبعدهما عن بعضهما مده حتى  
يباغ كل منهما أشده وما اظن ان قبول كان بينهم بمثل ذلك أو  
انه يتجاري على ما هنالك

قال وبيدنا نحن في تدبير ولا نعلم بما جرت به المقادير واذا بخطاب  
ورد لاستبدور من عند خالتها وكان الباعث لهما على رسالتها  
انها امرضت بداء الازميا وقيل بالانيميا وهو داء لا شافي له غير  
الموت ولا يخلص منه الا القوت ولولا لما نحن قلوبها على ابنة  
انخها وما كانت يومئذ فكرت فيها فطلبت منها ان تخبر  
عندها ان أمكنها والا فلا بد من ارسال ابنتها لانها نوت على  
تربيتها وانها ستر وجهها بأحد وجوه الدولة وان تخليع عليها  
شرف العيلة ونهبها مالها ونجود عليها بما لها وجعلت قبول  
ذلك شرطاً في ارتجاع الالفة ومجديداً المحبة والمعرفة

وما تمت قراءة هذا الكتاب الا وحصل في البيت انقلاب  
واندثر الهيم والغم وبكى مرجان ومريم واندحش قبول  
وسكت ونظرت ورجعة الى أمها وبكت فقالت أفح وان

استبدور هلك في السفر والقطيعه حبا في تلك الحالة  
 الشفيعه فقامت معاذ الله أن أترككم وأنا ما عرفت السعادة  
 الا بكم فان صحتي ما انحلت وشيتي ما اضمحلت الامر هموم  
 قديمه وامور وخيسمه منها قدوة اهل وموت بعل وما  
 هنائي ورسلائي وفرج كربى وأجزائى الاجتماعى بكم  
 ووجردى معكم فكم شاهدت في هاتين العشتين المسره  
 ولقيت في ظلالها المعزة والمبره ورأيت عالم آره بين اهل  
 وناسى بالباد التى هي منظر أسى وما فرغت من قولها حتى  
 طابت نفوس الحاضرين وفرت عبراتهم أجمعين وقام فيقول الى  
 الست بدور وضما ثم بعد ذلك قال لها وأنا الآخر لا أسافر  
 الى الهند أبدا بل أبقي هنا في خدمتكم عبدا وغن لنا  
 محتاجين الى شئ من البلاد الاجنبية والافسروج من تلك  
 الجزيرة البهيه فانشرحوا كلهم الاورد جنة فانه ابقيت مشغولة  
 البال ثم بعد قليل صرف عنها الاله تغال وزال وانبس طورا  
 أجمعين وباتوا بجمالديهم فرحين

فاما أصبح الصباح وانتشرت الانوار في البطاج حضروا  
 الصلاة على حسب العادة وأحضروا الفطور بالطريقة  
 المعتادة فآخبرهم مرجان عن أمير مقبل على حصان وورائه  
 من العبيد اثنان وكان ذلك القادم هو حاكم البلده فترجل

ودخل حاجهم وحده فوجدهم كلهم حاضرين وعلى المائدة  
 قاصدين وكانت وردجنة قدمت لهم شربة من الارز والارز  
 وفاكهة من ثمر الموز ثم شيا من عسل البطاطس في صحاف  
 من القرع اليابس فلما رآهم الحماكم على تلك الحالة تأسف  
 وأقبل على الست بدور وهو يضرب كفا على كف ويقول ان  
 اشتمت على بامورهم العباد الهاني من الالتفات الى خصوص  
 الافراد ولقد اخطأت في عدم السؤال عنكم وأطلب  
 السماح منكم لكنك ابتها الست بدورك خالصة من الاكابر  
 واغنياء أهل الجزائر قد أعدت لك أموالها وسلمت لك  
 أمورها وأحوالها فهل لك أن تسافري لها وتبقي عندها  
 فقالت له بالبقني أقوى على السفر وليت مزاجي ما كان تغير  
 فقال لها ان كان الامر كاتذ كرين وانك هنا من القاصدين  
 فانظري الى ابتك هذه وفاتها ولا تهرم بها من ارت خالتها ولا  
 أخفى منك ان خالتك قد استعالت بالحكومة على جلبك  
 فبادرت في طلبك وكتب الى الديوان مع الاستبجال ان يستعمل  
 القوة ان اقتضى الحال انما المروف مني وشفقة صدرت  
 عني أنيتكم مع اللطف وما اتخذت الا لطف ولا الهف وفي  
 أملي انك تستعين من ابتك بهض سنين وهذه المدة يدني  
 عليها اصلاح أحوالها وأحوالك وازدياد أموالها وأملاك

ثم وبالله عليك لاى شئ يترك لانا ووطنه ويعذب روحه وبدينه  
وبهاجر الى مثل هذه الجزيره مع مكابدة المشق والحريرة أليس  
لكسب الدراهم وجلب المنافع والمغانم فما أغرى الانسان  
بهذا العذاب ان أمكنه في وطنه ذلك الا كذاب

ولما فرغ من قوله وضع لهم كيدا مملوا فلوسا وقال لهاخذى  
هذه الدراهم من قبل خالك قد أراستها المشتري لوازم سفر  
ابنتك ثم النفق لست بدور وقال لها وأنت لم لا تزورينا وفي  
بعض حوايجك تسقط علينا حقيقة ان هذا منك عدم اعتنا  
وقصور منك في حقنا

فقال له قبول ان أمى قصدتك في أمرها فما كل منها وأنت  
عندك فما أكرمها فقال لها كم لست بدور أنك ولد آخر فقالت  
هو ابن صاحبتي وهو عندي في المعزة بمنزلة ابنتي فقال له لها كم  
يا ولدى أنك اذا علمت باحوال الدنيا عزرت ذوى المناصب  
العليا من ذوات الامور تلبس عليهم بعض الاوقات فيمتزلون  
الطبيب مكان الخبيثين والخبيثين مكان الطبيبين ثم انهم  
يجلس معهم فيجلس وأكل من طعامهم واثقفهم  
على دره من نظافة بيوتهم على صفوها ونظام أمتعتهم  
على حقارة قدرها وعجب من اختلافهم ببعضهم وبذل جهد  
خدماتهم بهم فقال ان أوانبكم وان كانت من الفخار يظهر

عليها المحرور والغضار لاني أرى عليها من اللطف طـلاوه  
ومن الساذجية حـلاوه سيما وباستعمالها بين اناس مثلكم  
كرما أصدقاء بينهم عظما تظهر بهجتها وجمالها وبشرف  
استعمالها

فسر قبول من أدب ذلك الحماكم وثبت عنده انه عادل غير ظالم  
فقال له اني ليسرني أن أكون من أصحابك وان أنتظم في سلك  
أحبائك لانك من أطيب الناس ذو درجة بالغة في الاناس  
فشكره على هذا المقال وصالحه مصالحة الرجال وأوعده  
أن يكون له معينا وصادقا وأميننا ولما انقضى الطعام ونفر  
الكل الى القيام أخذ الحماكم الست بدور وحدها وانفصل  
بها عنهم وقال لها اليوم تخضر سفينة من السفن المتوجهة الى  
الجزاير ولا بد لابنتك فيها أن تسافر واني لمصاحبها بأمر آدم  
أقاربني وأعز حبايبي فأوصيك أن تنتهزي هذه الفرصة  
الممكنة وتستغني عن ابنتك قد رسنه حتى تنال هذا الميراث  
العجيب وترجع عندكم بالفرج القريب ثم قال لها وهو خارج  
من عندها اعلمي ان خالتك لا تعيش الا سنة أو سنتين وقد  
أخبرني بذلك من رآها بالعين فتفكرى كما تفكرت وتأملى فيما  
ذكرت واعلمي ان الغنا لا ينديسر في كل الاوقات وانه لا ينفع  
الندم على شيء فات فقالت حيث لا بهمني الا هي فقد فوضت

أمرها اليك ونوكلت على الله ثم عليك قال وما صدقت الست  
 بدوران لأحت لها هذه الفرصة حتى انتهزتها ولا ظهرت لها  
 تلك الطريقة في إبعادها من قبول حتى اتخذتها ليكون  
 اجتماعهما بعد ذلك أوفق وزواجهما قد وجب واستحق ثم  
 أنها أخذت بنتها وحدها وشرعت تفهمها بما بدا لها وقالت  
 لها إن خدامنا قد طعنوا في السن وقبول صغير لا يتقن أمر  
 المديشة ولا يحسن وأقبحوا أن أمه قد هربت وأمك في السن  
 تقدمت فإذا كنت فإذا يكون حالك بعدى وأنا فقيرة لا شئ عندي  
 وأنت في مكان قذر لا مال عندك فيه ولا وفر لمن ذاب قوم  
 بخدمة منك وبسعي في مؤنتك وإن ألبأتك المديشة إلى السكد  
 نستغلين في فلاحه الأرض مع السكد فكلما أفكرت في عاقبة  
 أمرك بعدى تقطع قلبي وكبدى فقالت لها ورددته بأأماء  
 لا حول ولا قوة إلا بالله إن الله خالقنا للسنى والاشغال وأنت  
 عودتني على ذلك في جميع الأحوال

شعر

والله ربى وهو حسبي وكفى • قد ستر البعداً فترجوه الوفا  
 لم ينس قط في الزمان الأزل • فكيف ينسى في الزمان المقبل  
 وهذه الرقة في العباد • لك يا أماء • مستفاده  
 وإننى لأستطيع البعدا • من هاهنا طرفة عين أبدا

فقلت لها أمها وهي في أشد الغص وقلها يذوب من الغصص  
 ان قصدي بسفرك اصلاح شأنك وعلو قدرك ومكانك ثم  
 أزوجهك عند العودة بقبول والله وكيل على ما أقول فانه كفؤ  
 لك وأهل لان يكون بعلمك (قال الراوى) واعلم ان البنات اذا  
 مشقت نظمت ان لا أحد يعلم بحالها وان لا مطلع على ما فى بالها  
 وان الحب السكمن بين جنبيها لا يظهر للناس من عينيها فاذا  
 حركت يد الحبيب أنفجانها واستكشفت ارجائها واركانها وكان  
 ذلك الحبيب قريباً ما يبالي بالدعوات محبباً آمننت تلك البنات  
 وسامت وبما فى ضميرها تكلمت وان ورد عنه حنت للطف  
 أمها بها وباحت لها بسرها واسفرت لها بها وراه وظهرت  
 ما لم يعلمه الا الله فعذرنا أمها على عشقها ولم تعنفها على كثرة  
 شوقها بل خافت عليها من الغصوبة وشرعت ترشدها  
 بالنصيحة فتجاسرت ورد عنه وكثرت قواها واكثرت لأمها من  
 شكواها وظهرت ان لا سبيل الى الفراق وانها لا تخاف  
 من أحد على الاطلاق

فلم أرأت الست بدوران تالطفها بايبتها وما أظهرته من أمنيتهما  
 لم يفدها غير الخالفة والعصيان والميل الى هوا النفس والشيطان  
 قالت لها يا بنتاه لا تتريب عليك فالامر مفوض اليك فانقردى  
 بنفسك وتدبيرى وامكشى وحدك وتفكرى وان كان عندك

بعض من المعقول فلا تطهرى عشقك لا قبول  
 ان الحبيب اذراك تحبه • كتم الوداد واطهر السلوانا  
 وبينما هما يتحدنان وحدهما وقد جن الليل عليهما واذا بشبح  
 نقيه قد اقبل وسلم عليهما حين دخل وكان من فقهاء تلك الدور  
 قد اعتاد على قرأته في بيت الست بدور وقد كان أرسله الخاكم في  
 خدمتها وان يؤكدها في سفر ابنتها فقال عند دخوله وبجود  
 وصوله الحمد لله الذي أغناكم بعد الفقر وعوضكم خيرا بعد  
 طول الصبر فتواصوا خيرا بالمساكين فان الله يحب المحسنين أما  
 بعد فقد باقنى ما قاله لكم حاكم تلك الجزيرة السيد البردني  
 صاحب النعم الكثير وأعلم ما صدر عنه من القول المفيد الناشئ  
 عن الرأي السديد فاما انت يا بدور فسفرتك من هنا غير  
 مقدور فان صحتك اعتلت وعافيتك قد ولت واما انت ابنتها  
 الصغيرة فلا عذر لك في السفر ولا بد من تسليمك للقضاء والقدر  
 وان تطيعي أمر الاقارب وان ظلموا وان تسلمي لما به حكم واطان  
 سفرك وان كان لأحد يرضاه فهو على ما حكم الله فلقد أنزل تعالى  
 في كتابه العظيم على لسان نبيه الكريم قل لا أسئلكم عليه أجرا  
 الا المودة في القربى وان سفرك ان شاء الله لنعم العقبى أفنعمه من  
 الله ما أمر أم تسلمين للقدر  
 قال فاطرقت وردجته زمانا برأسها وهي لا تشعر بنفسها ثم

قالت وهي ترعد ولم تكن عن المقصود تبعد حيث ان الله اراد  
فلا بد ان يقضى المراد ثم بكت بكاء شديدا ما عليه من مزيد  
وذهب الفقيه لاجلهم واخبره بالنجاح وقال له ان وردجته  
رخصت بالسفر ولم يحتاج الى الحاج

أما الست بدور فانها احضرتني وفي سفر ابنتها السفتشارتني فما  
رضيت بسفرها وما اعجبني رأيها بل قلت لها ان الغنى في  
الخبرات الطبيعية لا في الثروة المالية وانت اذا مد مناشياني  
أرضنا فلا حاجة لبحث عنه في أرض غربنا وما تركت الاوائل  
كلمة لقائل

فيم اقتحامك البحر تشربه • وانت بكفك منه مصة الوشل  
وقال الشافعي

ام طرى لؤلؤ اجبال سرنديب • وبفيض ابارنكرو زنبيرا  
انا ان عشت لست احرم قوتا • واذا مت لست احرم قبراً  
واذا ما رضيت بالعيش قوتا • فعلى مازور زيدا وعمرا  
وقات في معنى آخر

وايكن ما عسى يغنيك زهي • اذا اغراك بالطمع افتتان  
وان اصمالك في الدنيا طلاب • فباغنيك من وعظي بيان  
فان الست بدور ما السفتشارتني الا في الظاهر ومراعاة  
الخواطر لانها كانت اعطت الفقيه قولا واصرت على سفر

ابنتها من باب أولى وأما النحويان فجمع علمها أن سفر ورد جنه يعود  
بالخبر على ابنتها لم تزل تتوقف في السفر وتظهر منه إلا إذا  
والضجر ولما رأت أن توففها لم يجتنعوا وإن السـفر تختم قطعاً  
رجعت عن المعارضة والمناقضة وسألت مسلك المفاوضة وكان  
قبول يجهل باطن الأمر ويتعجب من مسامحة نهم في السر ومن  
خلوة الست بدور بنتها وانفرادها بمكالمتها وقال أنهم يتحدثون  
من قبله لي ويتغاضون على شيء من أجلي

ثم لما أشيع بين أهالي هذه الجزيرة أن الغنا زاد أهلي تلك الجزيرة  
نالت التجار إليهم من كل الجهات واحضرت كامل البضائع  
والمهمات كالشاهي والكشمير واقمشة الصوف والحرير  
والخر الشامي والديباج الصنعاني والاطاس والحرير وما  
يصطنع بالبلد وما يشتهر بغل بالابر وهكذا ما يذهب بالذهب  
ويوردى بالمال والنشب

وقد خبرت الست بدور بنتها في مشترى ما يحبها وأخذ ما  
يألفها وهي تفصل لها الأثمان وتعطي الدراهم لصاحب الخزان  
ولم تختار ورد جنه إلا ما أعجب أمها وأعجب أقحوان وابنتها بأن  
اشترى هذا لك وهذا له وهذا لغيره وهذا لغيره حتى نفد ما في  
الكيس من القروش في ثمن المرسوم والمنقوش ولم يبق فيه  
أثر ولا ما يستعان به على لوازم السفر وكانت هذه الثروة

الباهرة وتلك الاقمشة الفاخرة تفتبر عند قبول بمنزلة مصيبتته  
 لانه يترتب عليها سفر حبيبته فبعاء عندي بعد ذلك بأيام وهو في  
 غايه من الوجد والهايام وقال لي وهو في أعلا درجات النعم وجسمه  
 مهزول من شدة الهم ان اخني شدة لفراق رحالها وعاشت  
 بالسفر آمالها فبالله عليك الاما جئت عندنا وسعيت بالنصح  
 بيننا والحلت على أمي وأميها ومنعتهما من سفرها فقلت له سمعا  
 وطوعا ولا بد لي في ذلك ان أسمى قال فتوجهت اليهم ودخلت  
 يوما عليهم فرأيت ورد جنه وكنت بالقماش الازرق استمعها  
 وبالعصابة الحمراء استسمعها فناهيك بها وقد رأيتها في أتخف  
 الملابس وأغنا الحرير والاطالس تختب في بطائن ورديه وتأثر  
 في أذيال عبقرية قد انخفض خصرها النعل لما ارتفع ردفها  
 الثقيل وانصببت تيجان ظفائرها الجعدة ان تفسد  
 حروف أجفانها الا يجديه وخففت رآيات قلبها المتني  
 تامل فازكت نار الوجومات ومرت صوتها بأرق النغمات  
 وكان اجتماع تلك الزينة المفصولة على هذه الذات المحبوبة سيديا  
 اهزال يرثي اليه وقتور يبكي عليه فنظر اليها ذهبت بلبه  
 وأخذت بمجامع قلبه ولقد زادهم قبول وعنه حتى أشفقت منه  
 اتعوان أمه وقالت له يا ولدي لا تمكن تلك الا باطيل من ذنك  
 فيعود الحرمان منها يا لاذاء على بدنك اليوم أعرفك من أنت

ومن أنا وما السبب الداعي لهذا العناء الذي تشألى من الزنا أما  
 أنا فاني قطيعة دهر وحليقة ضعف وفقر خرجت من بلدى بآثمه  
 فقير ورجعت لآء عيش في هذه الجزيرة وأما ورد جنه وأمهافان هما  
 من الأكابر ولهما خالة من أغنياء أهل الجزائر فلم يقم قبول  
 مامنى الزنا وسأل أمه هل هذه اللفظة من الفاظنا فقالت له  
 نعم لان أبك لم يأت بك إلا في السفاح وما عقده على مقدمة النكاح  
 وكنت عشقته وأنا بكره وان فأوقعت نفسي في ذنب لا يعموه إلا  
 الغفران ورجعت أنت باسم با كورنه وأول ما طلع من ثمرته  
 فأحرمت به من نسبك إلى أهلك ورتب على كفارة ذنبي  
 حرمانك من عائلة أمك لاني بعد هذا هجرت بلدى ورجعت هنا  
 بك وحدى فصررت بأمسكين مديم الأهل والأصحاب ليس لك  
 غيري من الأحباب ثم بكيت وورلوات وسجعت وحولت فأمسكها  
 بين يديه وضوءها في ذراعيه وقال لم يبق لي في الدنيا غيرك وليس  
 لي خير إلا خيرك وهذا سبب لان أحبك - بين وأقوم بخدمة منك  
 مرتين وما أعظم سرعاليه أطاعتيني والله لقد أُرشدتني  
 وهرقتني أجل ان هذا سبب في ذنور ورد جنه منى وداعيا لعدم  
 سؤالها منى فان لها شـهران وهي عازمة على السفر فلا شك  
 ان قلبها منى تفر

قال ولما جاء العشاء وجلس الكل على المائدة كان جلوسهم بغير

فائدة اذ كان لكل منهم شأن يغنيه وشاغل يشغله وبإيه  
 يا كاون قليلا ولا يقولون قليلا ثم ما أسرع ما قامت وردجته  
 أولا وجلست في مكان غير بعيد في الخلا فتبعها قبول وجاسر  
 بجانبها ومكثت ترافقه ومكث يراقبها وأنقضت عليهما  
 ساعة وهم ساكنان ولم يعضهما ملتفتان وكانت ليلة نيرة  
 ذات سماء مقمرة ذائفة الانحناف والالطاف لا يرسمها رسام  
 ولا يصفها ووصاف قد تزل البدر منهما من نزلة القلب ونشر  
 أشعته على الشرق والغرب فباستروها الأرض باب أو بعض  
 سحاب كأنه حين تجلي على بساط الخضرة بدر عليه من الفضة  
 بدره وكان الريح ممسكة نفسه والابل مطلقة عسسه فلا يسمع في  
 الغابات ولا في الوديان لاصوت انسان ولا صوت حيوان الا  
 منازعات الطيور في أوكارها ومداعبتها مع صفارها مسرور  
 من القمر وطبائمه وسكون الجوف في جميع أرجائه وكانت  
 النجوم تسطع في السماء وتعكس خيالها في الماء فتطرت  
 وردجته الى السماء وأطرافها وتطاعت حول الأرض  
 وأكنافها فرأت على البعد نار قوارب الصيادين ثم كشفت  
 نورا وظلا في الميناء على جهة اليمين وكان النور نور قنار البلده  
 والظل ظل السفينه التي كانت لسفرها معه وما آخرها من  
 القيام الا انتظار سكون الريح وظهور الوقت المائج فلما رأتها

أقشع رجليهما وتفتت كبدهما فالتفت برأسها لتواري بكاها  
خوفا على قبول من أن يراها قال وكنت أنا والسبب بدور واقعد وان  
جالسين غير بعيد عنهما وكفما من هذا الليل وسكونه نسيم  
كلامهما فسمعت قوله وحفظته كله

وذلك انه قال لها اني سمعت عنك بعض كلام وهو انك مسافرة  
بعد ثلاثة أيام اما تخافين من البحر وأهواله والموج وأفعاله  
فقلت له ان طمعتي لاهلى أهم والقيام بتلك الفريضة الزم فقال  
أنت ركبنا لاجل حالة مبهمة وامرأة مقعدة ما عرفتها وطول  
عمرها ما نظرتها فقلت واحسرتاه كنت ارد ان أبقي هنا مدة  
حياتي ولا أفارقك الا عند مماتي لكن أمي لم ترضيه وقد قال  
لي سيدنا الفقيه ان هذه ارادة الله وانما في دهرنا ممن يحزنون فاه ثم  
آه والله ان ذلك لمن أشد الابتلى وأضر من البلا قال من أجل  
ذلك عزمتم على البعاد وانه لا مانع لذلك ولا راد ثلابة لذلك من  
سبب لم تذكر به وداعيا في السر أرض مرتبة وهو حب المال  
فيما له من غرور باطل وجيد من الحلى عاطل وعما قبل تجدين  
أخا غيري واذا ذكرت يوما فلا يهملكم ذكرى وانك ستختارين  
احدا منكما في الحسب وكثرة المال والنسب وأنا لا قدرة لي على  
تلك الثروة ولا لي بمثل هذه الحظوة لكن ما أظن ان ترماحي في  
أى محل تنزليه او تجدي مدينة أحسن من تلك المدينة أو

تري ناسا مثلنا ربوا على الالفه والمحبه وتمكنوا من العشرة والصحبه  
وكيف تعبتين خارجا عن حضانه أمك التي امةدت عليها  
وكيف يكون حالها وقد طعنت في السن ولم ترك نصب عينها  
وكيف يكون حال أمي وهي تحبك حبا جما ولا تختمل غيابة  
عنها يوما بل وماذا أقول لهما وهما يبكيان على غيابك  
وبئس مكان على ما أصابك انك اني غايبة القسوه وعلى خطر  
من هذه الخطوه ثم لا أقول كيف يكون حالى وماء مقدار ما تزيد  
الامالى وكيف اذا مسى اليوم وأصبح ولم أرورد جنتك به  
فتع وأرى هاتين الشجرتين اللتين غرستهما منذ ولدنا ومكثتا ما  
عشنا وما وجدنا وهما يشهدان لنا بالمحبه وطول العشره  
والصحبه فاراهن ثم اراد ولا حول ولا قوة الا بالله شعر

لبن تبدلت بنا غيرنا \* فحينئذ الله ونعم الوكيل  
فيا لك يا ورد جنة ان تقصدى غير قصدى أو تاتىنى لغيرما  
حصلته من كدى ! وان كان لابد من الترحال كما اقتضاه الحال  
فارجوك ان أركب معك فى السفينه وان انتقل بك من  
مدينة الى مدينة فاساعدك على السفر وأقوى قلبك على خطر  
البحر حتى اذا دخيت من البحر وجدنى صدرا تستريحين عليه  
وقلبا تلتجئين فى كل الامور اليه فانك اذا استرحتى الى صدرى  
وقفت الغيبان البحرى أحاركن ناراندنى وعلا جاء من كل داء

يشفي ثم أسير معك من بلد لبلد لعلنا نساعد ولم أزل معك  
بمئة الرقيق والخدام الشفيق فأمل أن أكون لك عبدا  
وأن أزداد من خدمتك سعدا وجل قصدي أن أراك في ثياب  
العزترعين فأصبح بخدمة ملك أعطاء وأشرف الناس أجمعين  
وهما يطلبان أن أزيل الروح تحت أقدامك فقد بلغك الله من  
ذلك أقصى مرامك

قال واخترق عند ذلك بالبي والطرق برأسه على يديه وانكى  
ثم سمعنا هاهو تبيكي هي الأخرى وتصلي النار الكبرى وتقول  
أن سفري للسعي في المال قد أوجب له الحال وذلك لاني أراك  
من فلاحه الأرض قد انحنى ظهرك واعتل صدرك وعيل صبرك  
وأنت مكدود لغذاء عائلتين ومتعب نفسك على كلا الحالين  
فما جئت لي السعادة والغنا الا لا نقذك من هنا واذيقك أيام  
الهناء حتى أكافي نعمك وأجازيها وأوفيك ألف مرة على كل  
مرة خدمتنا فيها وان السعادة وان بلغت مهمما بلغت من  
الدرجات لا تعدل حبي لك في وقت من الاوقات وأما نسبك  
الذي تذكر لي عنه فاني لم أر نسباً أظهر منه واني وان خبرت في  
الاخوان ما اتخذت غيرك انسان انك يا قبول أعز عندي من  
الشفيق والطف في الروض من الشفيق وأني وان كان لي في  
فراقك أشد العذاب لأعمل أن تكون ناصحي في هذا الباب

تعيذني على سفرى وتمكننى من وطرى حتى يشاء الله فيجتمع  
 ونخضع من محاسن الوصول ونبتدع هذا وأنا على عهدك ان  
 سافرت أو بقيت وفي ملكك ان مت أو حييت فتصرف في كم  
 شئت فاني لولا الحياء لخلعت برقعك عليك ولولا الحب لما  
 وقفت بين يديك فلا تشوش ذهنك فان ذلك يعذبني وعلى فراش  
 الجمر يقلبني

فاما سمع قبول هذا القول أسرع بضمها وحصرها كالودة في  
 كمها ثم صاح مهلا وأشار قائلا

والله لا يمنعني منك ذونشب • ولا أمير غنى شأنه طالى  
 والناس لو حكموا طرا يفرقتنا • لما تصورتهم شيئا على بالي  
 انا والله لا أفترعك طرفه عين ولو قضى الله على بالحين ان  
 سافرت فانا معك وان سبقت فانا أتبعك

قال فخرجنا كلمة اليه بحرى وهو من شدة هيامه لا يدري  
 فقالت له الست بدور يا ابني وأنت اذا تركتنا في ذابولنا  
 فأجابها وهو مضطرب من الجنون مقترب ان دعوني  
 يا ابنك فقد صرني أمها وأمي وجعلني أخاها وجعلتني أختي  
 وكيف تفرق بين الاخوين ونبادر بنفصل المؤمنين  
 اما انك أرضعني • وعلى ذراعك حملتنا فعودتينا من  
 الطفوليه على الحبه وان لا يبعد بعضنا من البعض وزن حبه

والآن ترسلينها الى أهل منكبرين بين أمم متبريرين أمانتظرين  
 لقسوتهم كيف هجرون وهل أنسيت ما فعلوه فيك فان  
 قلت انها ليست أخنى وانك أمها ولسننى بامى وانى مقطوع  
 الحب والنسب عديم المال والنسب قلت هى حسبي ونسبى  
 وأمى وأبى فلا أعرف شيئا سواها ولا أميش قط بلاها وكما تربينا  
 وحدنا فكذلك لا لهدد عند الموت لحدنا وان هى سافرت فانا  
 معها وفى كل مكان لا بد ان أتبعها فان منعهنى الحاك من السفر  
 فلا يمنعهنى ان التى بنفسى فى البحر شعر

قلت الاتلجسن دارنا • ان أبانا رجل غاير  
 قلت فانى طالب عزة • منه وسبى فى صهارم بائر  
 قالت فان البيت على البنا • قلت فانى ووقه طائر  
 قالت فان البحر من بيننا • قلت فانى ساجح ماهر  
 فعمسبك الله بلى أفسى الامهات واغلظ النساء والبناات اسئل  
 الله الكريم رب العرش العظيم ان البحر الذى تعرضونها  
 لا خطاره وتودعونها بين موجه وتباره ان لا يرد لها عليك  
 ساله ولا يرجعها غائمه وان يغرقها ويغرقنى معها وان رمال  
 الشط نجمة معنى ونجمهها فنه تكون حسرة لكم على الدوام وكسرة  
 لقلوبكم مدا الايام

قال فاما سمعت هذه الالفاظ وانه أغاظ كل الاغلاظ أمسكته

من يديه وقد شهدت علامة اليأس بين عينيه وأنه خرج من  
 الأصول وفقد المعقول والمنقول فكانت عيناه كالشرر وكان  
 عرقه يتقطر وهو يرتعش بركبتيه وقلبه يصفق بدقته فانزعجت  
 من ذلك وردجته وقالت له يا حبيبي وحق لذات الصغر وما  
 أصابنا على الكبر ومن بيده ان يجمع بين الاخ والاخت ويوصل  
 بين عاشقين سيئ البخت لين يقيت هاهنا لا كوثن خادمة بين  
 يديك ولئن سافرت ورجعت لأفضل أحدا عليك وأشهدكم  
 بذلك على أيها الواقفون بين يدي فأنتم عالم صغرى وخدمنتم  
 كبرى والان ترون أدمعي وتعلمون بمقدار توجعي واتسم  
 لكم بالله العظيم رب العرش الكريم وبذلك البحر المقدور  
 على عبوره وبالقدر المكتوبة على جبينى سطورره ان الذى  
 قلته لهو الحق وعين الصدق

فأما سمع قبول صوت حبيبه ذال اغتياظه وانطى شواظه  
 وذاد فى خشوعه وجرت غدران دموعه كالشمس اذا  
 طلعت على نايح زال وانكسب ماء وسال فبكى أمه على بكاه  
 وضمته وقالت آه وأما استبدور فكانت فى غاف  
 الاضطراب واليم من العذاب وقالت لاجلدلى على ذلك  
 رأسى تصدعت وأحشاى تقطعت فلاحقنى الله هذا الفراق  
 فانه المارق أرجوك يا جارتنا ان تأخذ قولا عندك اليوم فان

لنا ثلاثة أيام لا نرى النوم

قال فسبحت أدمعي وأخذت قبول معي . وقلت له ان ورد جنة  
بأقرب مني . وانها لا تسافر من عندنا . فكان علي يقين مما ههنا لك  
وفي غدا أتكلم مع الحاكم في شأن ذلك . وأما الآن فلا بد أن  
نتركهم يستريحون . لعالمهم بعد طول السهر ينامون . فسر بي إلى  
داري فان الليل قد انصف . ونجم الهقعة في الأفق وقف فشي  
معي ولم يتكلم . وبات في أرق لم يغمض حتى ظهر الفجر وطلع وخرج  
إلى بيته ورجع

ثم سكت الشيخ عن الحديث لحظة لا ينطق بكلمة . وقال إلى مني  
أطيب الشرح في هذه القصة . وما الحاجة لما يتلك القصة

شعر

انما العيش كله طرفان \* طرف مقبل وآخر فاني  
أنشبه العيش كله كرة الأرض \* ووجه التشبيه في الدوران  
فلما في الضياء يوم نقض به ونحت الظلام يوم ثاني  
نقلت له بالله عليك الا ما أتممت هذه القصة الغربية . وعرفت  
عن حال قبول في تلك المصيبة . فان الحديث عن المواهب بالذ  
مع وبتأدبه وعن النوايب يدرب المرء ويعلمه  
قال فلم أراجع قبول من عندي وتركني وحدي رأي في طريقة  
سليم الجارية واقفه على صخرة عالية . تنظر للبحر بتعسر

ودموعها في غابة التحدّر فقال لها قبول أس وردد جنسه لا بد  
 لو فقتك هذه عن انه قالت فقتت اليه وهي تبكي وتنتعّب وتشتكي  
 فارتد قبول على مقبّيه وعلامة اليأس بين عينيّه وسأل عنها  
 في الميناء فأخبروه بفرها وانها حين نزلت في السفينة قامت بها  
 وان السفينة قطعت شحوا من مشرق فراسخ في العرض حتى غابت  
 عن الارض فرجع الى الدار وهو لا يعلم ثم خرج منها ولم ينكلم  
 قال وكانت الصخرات المحطية بنا تظهر على بعد انها عمودية  
 البنا مع انها كانت مائلة بأسطحه خضرا نقسمها الى مدرجات  
 أخرى يتوصل بها في الصعود الى أحبار مصر صوصه فقت سفع  
 الركن المسمى بالبوصه وكان تحت هذا ركن عن جانبه أشجار  
 شاهقه محاطة بمهاوخره وكان لا يزال الغمام بأوى الى هذه  
 المحلات ثم ينهدر غدراننا في جميع الجهات فتسير الى بطن  
 الوادي بانحداره من وصوت عند السقوط اين ومن جلس  
 هناك كشف جزاء من الجزيرة ورأى جبالا وأجمات كثيرة  
 ونظر البحر وجزيرة برب على بعد أربعين فرسخا جهة الغرب  
 فصعد قبول على هذا الصخر المرتفع وقعد في ذلك المكان المنقطع  
 وصار يتلفت تلفت من أصيب بجنّه حتى نظر السفينة التي  
 سافرت فيها وردد جنّه فكانت على بعد بعيد وأمد مديد  
 كالنقطة السوداء في المحيط الأكبر أو كالنملة البيضاء في البر

الاقفر وبقى طول اليوم يشاهدها وهو يظن بعد ان غابت أنه  
يجدها وما زال جالسا والرياح تعيث به وبالاشجار حتى ولي  
النهار

قال ولما ان رأته هناك قاعدا وعلى تلك الصخرات صاعدا  
وكان سائدا برأسه على الحجر شاخصا بعينه الى البحر تبعته  
وتعبت فيه حتى نزل وجاء الى أهله ودخل ومذراى الست بدور  
أقبل عليها وجعل يتشكى منها وابها ويقول لها على م فبدأت يني  
وعن سفرها ما أخبرتني باليني كنت ودعتها وعندك يم  
استودعتها لا كون اليوم بارد القلب قليل الهم والكرب  
وأكون قد استسمعتها فيما عن غير قصد أسأها وأكون  
قد تزودت منها بنظرة وبلايت غلى من ريقها ولوبت طره  
وأدعو الله ان يمن عليها بالاسعاد في بعيد البلاد فأطن أنها  
تعود وان الدهر بها يجود ولما ان رأى أمه وأمهات يكيان وبألم  
القول بعد ان قال لهما مبعثا وبهما شامتا انظر اليوم  
من يمسح دموعكما ويرأف بحالكما ثم انحنى وبكى وناح من  
حر الفراق واشتكى

شعر

وصار يجرى من هنا الى هنا • مبدد الراحة مفقود الهنا  
بتنظر كلما رأى كأنه • يبعث عن آثار وردجته

وكلما كان عزيزا عندها • أوسعها زيارة من بعدها

غيره

وقال لها ما وكن تطرنه • البكن عني فالطابا بطاها  
رحان بمن كانت البكن برة • تمديك فيها لكس المطاها  
ثم دخل موكفها الذي كانت تأوى إليه • ونظر إلى الطير وقد  
أقبلت عليه

فقال شعرا

لأن الويل ياتلك الحمام ثم بعدها

فقد أطلعت من وحشيتها الواضع

فلا أمطر تلك المزن بعد فراقها

ولا مطفت يوما عليك المراضع

ثم نظر إلى الكلب وهو يفتن خبرها • ويقتني أثرها فتنفس  
الصعدا وبكى حتى أبكى البعدا

وقال شعرا

أواميا كلب فلا تقتني • مادمت فيما أثرا للعيب

فانما شطت به داره • وما بقي غير البكي والنعيب

وانني والله من بعدها • ما بين جيران وأهلى غريب

ثم جالس على البحر الذي كانا عليه في الامس • وقد كادت تزحف  
منه النفس • ونظر في البحر إلى المكان الذي غابت فيه من بينه

وبكى بكاء لا مزيد عليه

قال وكما عليه بالمرصاد في كل واد خوفاء عليه من عواقب طيشه  
وسوء عيشه ولم تزل الست بدور وأمه يرجو أنه ان لا يهيج بابا لهم  
بكثرة أشجانه وان يتسلى من أحزانه سيما الست بدور فأنها  
اتخذت كلمات تقرب الامل وتزين العمل بان قالت له يا ابني  
يا حبيبي ويا زوج بنتي ونسبي وحبرته بذلك على ان يدخل  
وان يقدمهم على المائدة وياً كل فاما ان جلس معنا على  
الطعام لم يباله زاد ولا كلام لان جلوسه كان قريبا من المحل  
الذي كانت تجلس ورد جنه فيه وكان خيالها دائما يقف فيه وهي لم  
تزل في مخيلته حاضرة كأنها اليه ناظرة فصار يجرد هاهنا من نفسه  
ويخاطبها ويقدم لها من الاطعمة ما يظن انه يعجبها ومنذ علم انه  
في ضلال وانه يتحدث مع خيال قام من المائدة حيرانا  
وأسال من أدمعه طوفانا

وفي اليوم الثاني هم يجمع أوانيها ولم الصحف التي كانت  
تأكل فيها وما كانت تستعمله من الادوات الخاصة بها وتستخدمه  
على حسب عاداتها كباقيات من الازهار وأكواب من  
جوزات الهند الكبار

وقد نزلت عنده هذه الاشياء بمنزلة الذخائر المصونة والجواهر  
لا تكونه فكان يضعها الصدر ويقلبها وعلى الذهب والفضة

شعر

رأى المجنون في الببغاء كلبا • فذله من الاحسان ذبلا  
 فـلاموه عليه وعنفوه • فقال رأيت في حي لي لي  
 ثم انه رأى ان كثرة شغفه تعود بالمضرات على الامهات وان لوازم  
 العيلة تستدعي كثرة الاشغال وان لا فائدة في الكسل والاهمال  
 فخرج مع العبد مرجان لاصلاح البستان قال وكان لا يعرف  
 بالعلوم ولا يدرك المنشور ولا المنظوم فقصدني ان أعلمه  
 الكتابة فعلمته وان أفهمه القراءة فأفهمته فعذهامني  
 أحسن منه لقدرته على مراسلة وردجته وتعلم الجغرافية  
 ليدري بمحل اقامتها ومرف التاريج ليقف على اخلاق أهل  
 بلدها وقرأ علم الزراعة وأنقسه فصار لا يرى شيأى  
 البستان الا أحسنه وكان انفسابه ذلك ببركة العشق والهيام  
 وسر الوجد والغرام فأصل العلم غوايه وسند الحديث روايه  
 ولولا الفقر والافلال لما كانت الحكم ولا الامثال فانها لله مرم  
 مسليه وللانام مواسيه وان الله تعالى بدء بخلق الحب وجعل  
 منزله القلب فمكان سببا لارتباط الارواح بالذوات وداعيا  
 لاتحاد العقولات والمنقولات ونشر اللذات ولقد سئمت نفسه  
 علم الجغرافية لانه رأى ما غير شافيه اذ لا يتكلم فيها على البلاد

بالنسبة لاحوالها الطبيعية بل بالنسبة لقواها السياسية وانما  
اختار كتب السير والحكايات ومطالعة القصص والخرافات  
لما رأى أنه يحكى فيها عن احوال الامم المارة وما وقع لهم من  
الامور السارة والضرارة فبى منهم من أصيب بمثل مصيبتة  
ومن أحب حبيبة كحبيبتة وكان لا يجمع الا لكتاب تلماق لما  
فيه من وصف الرستاق وذكر محاسن اللذات الخلوية وعيشة  
الرياض المرضية فكما استحسن شيئا من تلك الامور كان يقرأه  
على أمه وهى الست بدور وطالما أخذ الطرب من بعض ما  
براه فبهيم ويكى وهوى يقرأ ولما ان اطلع على الكتب الادبية  
والنكات الوقعية التى هى عبارة عن اخلاق الرعية خاف على  
وردجته ان تفسد أخلاقها فتتساه وان تصدق ظواهر ما تراه  
فاشدت حسراته ونصاعدت زفراته وأنشد شعرا فى هذا  
المعنى

لكنها خدعة قد سيطر من دمه  
فجمع وولع واخلاف وتبدل  
فلا يفرنك ما مننت وما وعدت  
ان الامانى والاحلام تضائل  
فلا تمسك بالهدم الذى زعمت  
الا كما يمسك الماء الغرايل

قال وقدمت في لها نحو من سنة ونصف ولم يرد منها حرف ولم  
يصل لامها منها ظرف بل بلغها عنها انها وصلت بالسلامه وانه  
لم يحصل لها في سفرها أدنى سقامه ثم ورد منها خطاب بخطها  
ومعه رباطه من ربطها وكان هذا الخطاب يتضمن شرح حالها  
وما هي عليه من البعد عن أهلها ومع شدة احتراسها في التعبير  
فقد ظهر منه لامها انها في غايه من التكدير وما هي صورته  
بالحرف وصورة عنوان الطرف

ايتها الوالدة العزيزة الخالصة الابريزة قد أرسلت اليك فيما مضى  
عدة خطابات ولم ترد لي عنها جوابات فظننت انها أهملت  
واليك ما وصلت وأمل ان يصل هذا اليك فيقص قصصى عليك  
وان يرد رده الى فينشر طبيب أخبارك على ويعد فطما لما بكيت  
على فراقنا وكنت لأبكي الاعلى مصائب غيرنا أما خالك فانها  
عند وصولي اليها ودخولي عليها سألتني عما تعلمته وأى  
كتاب قرأته وكتبته فقلت لها انى لأدرى وما قرأت وما  
كتب طول عمرى فقالت لى اذا ما ذا تعلمتى من يوم ولدتى  
فقلت لها تعلمت ان أخدم العائلة وهما أنا على خدمتك مقبله  
فقالت لى انى ولدت مع المساكين وتربيت مع الخدامين وفى  
الغد أدخلتنى مدرسة البنات وأحاطتنى بجماعة من المعلمات  
فاقرأونى العلوم الاولية كالنحو والحساب والقارىخ

والجفراقية فلم أكتسب منها شيئا لاشتغالى بكم وعدم  
التفاني الى غيركم حتى أشيع عني أنى من ذوات العقول  
الضعيفة والادمان الضعيفة وخالتى مع ذلك لم تنزل بخبرها  
تعمري وبالمبوس الطريف في كل فصل استرني وقد أرفقتنى  
بامرأتين لخدمتي وغيرت بنسبتهما نسبتى وأنت تعلمين ان  
انتمائى لابي أحب شئ على قلبى اذ لا يخفى ما قاله والذى من  
لا هو ال وما فعل على زواجك من الافعال وانما حسب الى  
هذا الاسم الجديد والعلم الفريد لانه كان اسمك فى الشورى  
ولقبك فى زمر النبوتية ثم نى لما رأيت نفسى فى هذه الخطوة  
رحوت حالتك ان لا تعاملك بالقسوة وان ترسل اليك شيئا  
للاعانة لئلا أضمرت على الخيانة والاعانة فكان جوابها انك  
فقير بكفيلك من لعبش ما قبل لانه ان زاد قتل ولم يمكنى  
ان أرسلك على يدى أردت مراسلتك على يد غيرى فلم أجد من  
يؤتمرنى فى هذا الامر المهم ففعلت بدفع هذا الملم وبذلك غاية  
جهدى واعلم ان قراءتكم لكتابه وحدى وقد أمانتى الله  
عليهما فى أقرب مدة وأقصر عده وكان ارسال كتي الأولى  
على يد أسوفى فلا شك انهن أعطينتهما الخالى فعمدت الى صاحبة  
من يمانت الكتاب ورجوتها ان ترسل اليك هذا الكتاب  
فارسلى على اسمها رد الجواب فان خالتى منعتنى من الخطابات

الخارجية خوفاً على من بعض العواقب الزدية وحذمت عني  
 ان لا ينظرني في المدرسة غيرها وغـير رجل عجز من أنصارها  
 وقالت لي انه يهواني ويميل الى وبتمنائي وأقول الحق أني  
 لم يكن لي أدنى ميل اليه حتى لو سلم على لما رددت عليه وهما أنا  
 يا أماء في عيش من يرذل في أذيال السعة ولم يجد قلسا معه فانهم  
 قالوا ان حملي المذراة لم يؤدي الى أمور ذميمة ويؤلى أمره الى  
 عواقب وخيمة وأما ما على من الملبوس فهو للنساء اللاتي  
 في خدمتي وربما قلن عليه وهو على جثني فصرت  
 مع ما أنا عليه من الثروة هنا أفقر مما كنت عليه في بيتنا  
 لاني لا أجد درهما للنفقة ولا شيئاً للصدقة ولما رأيت ان هذه  
 المعارف الجسيمة والتعليمات العظيمة لا تؤدي الى كسب  
 القليل ولا تورث ما يروى الغليل عولت على الحياطة التي  
 اكتسبتها منك ورويت حديثها عنك فهالك جملة من الجورب  
 من عملي لك ولا أقعوان ومنه يدل لمريم وطربوش لمرجان  
 ودونك بعض الباب وأبزار من فضلات الفا كهة التي تقدم لي  
 في الافطار وحبوب كنت جمعتها وقت الفسحة من البستان  
 وبعض من ابزار البنفسج والاقعوان وكم هنا من أزهار أجمل  
 من أزهارنا لم يكن لها عندهم بها اعتناء فلا شك انك والست  
 اقعوان من كبس تلك الابزار انك شرحان وانه يسر كما أكثر من

كبس الدراهم الذي هو سبب الفرقه وأصل لما أنفقته من  
 الخرقه وما أحسن ما يباغنى عن شجر التفاح وانه نشر ظله  
 على زهر الافاح وانه بهم مع الجوازات الهندية فاذا ذكر لك ما تألفينه  
 في البلاد المغريبه هـ هذا وقد أوصيتني ان اشرح لك أحوالى  
 وأفصح عن الخبر والشهر مما جرى لى فاما الخبر فلا خير لى مادامت  
 عنك بعبدك وأما الشرفا تلى عنه بانواعه يحك المفيدة فانك  
 أرسلتني في هذا المحل على ما أراد الله عز وجل شهر  
 وأكبر أحراني وجودى بمهشر \* اذا ذكر واشياء نحاشوا لك اكرم  
 وان قلت شيئا عنكم بمنهوتى \* كلهم - م يستكفون جواركم  
 وحقيقة ان خادماني اذا سمعت معهن وورد شيء من ذكركم  
 هاجن بقان لى تذكرى باستاء انك من بنات الانراف فلا  
 تذكرى شيئا من كلام الارياف وما علمن انى أنسى نفسى  
 ولا أنسى دارهنائى وأنسى ومسقط رأسى وأن البلد الذى أنا  
 فيها هو الجسد بالقسبان فانى لم أربه انسان ولا من أشركه  
 فى أمرى وأحدته عن حبكم الذى لا يفارقنى طول عمرى هـ هذا  
 وأسأل المبرة الكثيره بمرجان ومريم كاريباني صغيره وان  
 تحسنى منوى الكلب امان فانه لقينى وانا ضالة فى البستان  
 فتعجب قبول غايه العجب من انه لم يذ كر شيء فى هذا الكتاب  
 وقد ذكر الكلب ولم يهـ لم ان كتب الذئب وان طالتم منها

القافية لم يذكرن أعز ما عندهن الا في الحاشية وحقيقة انها  
أوصت له في حاشية الكتاب ببعض حبوب من البنفسج  
وبعض من أبرار العوسج وأرشدته على كيفية غرسها وعلى  
البقعة التي تصلح لها ثم قالت

شعر

زهر البنفسج كالحب المدنف

تلقاه في أوراقيه بالختى

لكن رواجه الله كيه ان نمت

نمت عليه لكل واش مقتنى

ثم أوصته كل الوصية ان يفرسه حول الفسقية وقالت على  
العوسج انه قريب الاوصاف أسود الجوف ازرق الاطراف  
وأوصته ان يفرسه عند الحجر الذي كانا عليه ليلة السفر وان  
يسميه بحجر الوادع وآخر الاجتماع وكان هذا البزري كيس  
صغير الحجم سادجى الرسم فترل عند قبول بمنزلة العقد الفريد  
والطاح النضيد سيما وقد رأى عليه نقش حرفين معتقين  
وهما مبداء كل من الاسمين وانها نقشتهما بنفسها وطرزتهما  
من شعر رأسها فان كنت تدري في التنجيم فهما قاف وجيم  
(القاف لقبول والجيم لوردجنه)

قال المناقل فما قرى كتاب تلك العذرى الاوسال دمع العائلين

وجرى فسطرت لها أمها كتابا غيره وذكرت لها ان الجميع  
عليها في حيرة ومسحت أجرفه من الدموع وفرط الزفريات  
والولوع وقالت

شعر

أقبحي كيف شئت بغير بعد • فاني من غيبابك في شقاء  
واني لم أزل مذغبت عني • مقسمة الفؤاد على اللقاء  
ثم كتب لها قبول كتابا طويلا رتبة ترتيبا ورتبه ترتيبا  
وذكر لها انه مشغول بغرس ما أرسلت وانه سيجعله على حسب  
ما فصلت وانه يواف فيه بين نبات أوررو با وافر بقيقه كما  
انها ألقت بين أسميهما بالاحرف التعاليقيه وأرسل لها من  
ثم رجوزا الفسقيه مما بلغ الانتهى في النضوجيه وانه لم يرسل  
اليها شيئا من أضرار الجزيره لتأخذها على المجئ غيره ثم تضرع  
واينهل وسألها المجئ على عمل فقال

شعر

أرجوك ان تعجلي الحضورا •  
اتقنى في أهلك الاجورا •  
مودى البناء وأرحمى منيما •  
لم يرقط به يدك السرورا •  
ثم اهتم بعد ذلك غاية الاهتمام وغرس الاضرار على التمام فكان

زهر البنفسج والبلاب يشبه حالة ورد جنه في الغياب ووجه  
 الشبه ان ازهارها كانت تتوارى في الاوراق ولا تكاد تظهر على  
 الاطلاق والسبب اتلف ازهارها في مدة السفر ولان هوا  
 القطر عليها تغير جاء زهرها قليلا ونباتها قليلا  
 وبعد فالحسد الذي هو نقص السعادة وأغلب قبائل الجزاير قد  
 اعتاده ترتب عليه انتشار أقوال يبني عليها تعقب قبول  
 وذلك ان أهل المركب التي ورد فيها خطاب ورد جنه زادوا في  
 اللجاج وأشاعوا القول بانها مشرفة على الزواج حتى انهم  
 ذكروا اسم بعلمها وقالوا انها من أهلها وأنه من أهلها وقال  
 بعض من يأتفك ان هذا الزوج لمن بيت الملك وقال البعض  
 انها تزوجت وبالفعل دخلت وانبتوا ذلك دون مين وقالوا  
 انهم راوه بالعين فاصدقهم قبول في أول الامر محتجا بان  
 مراكب التجار تحمل الكذب كما تحمل التمر لكنه لما سمع  
 ذلك من بعض المتردين عليه الذين يرجعون في أغلب أمورهم  
 إليه وان غاب به اللون عنه وهم في الواقع يسخرون منه صدق  
 مقالهم واستصوب عبارتهم سيما وأنه قرأ في بعض الخرافات  
 أو أكثر السير المؤلفات ان كبد النساء لا يخفى وان الرجال  
 منهم على شفا وان أول الهوا مضراح وان الفساد يعتري  
 الصلاح وان ما يكتب من ذلك في الاوراق ليس الامارة عن

الاخلاق خاف على ورود الجنة وهي وحدها ان تكون قد انقضت  
عهدا فانكسف بآله وزاد بلباله وتشوق كل التشوق  
اليها وتدم كل الندم عليهما سيما وقد ورد كثير من السفن من بلدها  
ولم يلق فيها كئيبا جاء من عندها

قال وكان هذا المسكين من شدة اضطرابه وفرط عذابه بكثر  
التردد على ويأتى في أغلب الاوقات الى ليعلم متى هل صحيح ما  
يشاع أم هو من باب الكذب والاختراع وكان منزلى كما ذكرت  
على بعد ميلين من هذا المكان على شاطئ غدير من الغدران وهناك  
قضيت عمري مشتغلا عن الناس بأمرى لا خادم لى ولا عبد ولا  
امراة لى ولا ولد لان الرجل اذا فاته امرأة فى الاخلاق حسنى  
وهذه نادرة من نوادر الدنيا وشكى من الناس ومعاشرتهم وتغرر  
من سوء مجاورتهم وجب عليه ان يسعى فى العزلة عنهم وان يجتهد  
فى الفرار منهم ومن المشاهد ان الذين ساء حالهم امامنا رأيتهم  
او من جور حكامهم نفر كثير منهم الى لوحيد وبذل بالراحة الشده  
كقدماء المصريين فى زمن انحطاطهم وكاليونان فى آخر ملكهم  
وكالهنود وأهل الصين وكما ترى الاروام والطليانين وكاظم  
الامم المشرقيه وكاهل أورور بالجنوبيه والعزلة تسوق الرجل  
الى السعادة الخالصة وتبعده من الجمعيات المنغصه فاجتماع  
العالم لا يخلو عن أمور بارده وأوهام فاسده فتكون النفس

دائماً في اضطراب من آراء غير سديدة واشتغالات ليست بمفيدة  
ولا ينجني مادة الطمع المتسلط على ابن آدم في جمعياته وإن الأخ  
يبتل أخاه في حاجاته أما العزلة فليس فيها شيء من تصورات هذا  
الطيش التي هي سبب في تكدير العيش بل تشتغل كل نفس  
بمناقضها وتتفكر في الطبيعة وصانعها كسبل خرق الأرض وقت  
سقوطه وخراب الروض عند هبوطه ثم انحدر في محنة منعكفه  
فرسب ما فيه من الاتربة المنقذفة ولما خف قوامه وشف قوامه  
صفي بعد التكدير وراق بعد التمكير وعكس أشدته على ما حوله  
من النبات الأخضر والسماء الأنور وهكذا العزلة تنظم الأرواح  
كما تنظم الأشباح ولقد رأينا طول المدة في أعمار أهل الوحدة  
وذلك مثبت مشهود عن براهمة الهنود ونهاية الأمر  
فهي على مذهبي أصل في السعادة البشرية لأن المرء إذا لم يتخذ  
لنفسه شيئاً منها في أموره الداخلية لم يكن مارباً عن الآراء  
الاجنبية استمال عليه أن يتلذذ بشيء لا محاله أو يستقيم في  
عيشته على أي حاله هذا وليس القصد أن يتفرد الرجل بنفسه  
وإن به جريفة أبناء جنسه فقد غالت الأمثال وصدق من قال

شعر

● المزم في العزلة لكنه

● لا بد للناس من الناس

وذلك للزوم الضروريات وارتباط الناس ببعضهم في الحاجات  
فإن حاجات المرء موجهة للغير كما يحتاج إلى الحب الطير ثم باقي  
معيشته على مولاه الذي صورته وأنشأه وقرن بالانصار أعضاءه  
في أن الرجلين ليمشي بهما وخاف الأرض والتراب لهما وقرن  
تنفس الرئتين بالهوا وخلق العينين للنور والاضواء وجعل كل  
شيء للآخر قريناً مطابقاً والقامو واقفاً ثم خلق الروح من  
أمره فترى المخلوق يردّها إليه بعد أن قضاه صوره

فإن ثم التزم أن أعيش عن الناس بعيداً منفرداً وحيداً فإني  
كنت خدماً منهم في سائر البلدان واتخذت منهم أصحاباً في كل  
مكان وما تركت قسماً من أقسام الأرض إلا سكنته ولا رجلاً  
إلا اخترته وامتنعته حتى علمت أن لا أحدهم منهم يعول عايله  
ولا يلتمها في الأمور إليه فاخترت هذه الجزيرة لقلة سكانها  
واعتماد الهوا في جميع أركانها وابتعدت عن موارد العالم  
إلا كبر وخروجها من دائرة المحشر وبنت لي صومعة في الغابة  
تحت شجرة مستطابها واقلمت قطعة من الأرض وحدي  
وبذلت فيها غابة جهدي فكان فيها وفي النهر كفاية لحاجاتي  
ونهاية لمتعاتي وضفت على ذلك بعضاً من الكتب المهدبة  
للأخلاق المسلمية لهموم الدنيا بالاتفاق

شعر

فصرت بها تستخدم الناس بعدما

وردت زمانا ما هم ثم عفته

وما سبب المجران الا لا تني

أطلت اصطحباني بالورى وعرفته

وطالما قرأت في تلك الكتب أوصاف أناس دأبهم الشهوات  
والانهمالك في اللذات فاقبس نفسي بهم وامثل عيشي بعيشهم  
فأراني على جرمانى منها أرغدهم عيشا وأقلمهم زيفا وطيشا  
فكنت كمن نجى من الفرق في مركب انكسر بعدما انخرق  
والتي به البحر على حفرة عالية فأمن من كل داهية وبقى عليها  
ينظر الى غايه يحتبط البحر وهو على غايه من الخطر ولما  
انقطعت عن الناس وانقط عواعنى وصرت لا أدنو منهم ولا  
يدنون منى أصبحت أرثى لحالمهم وأنشوق لخبالهم فاقابلنى  
مسكين الا كنت فى معونته ولا رأيت جائعا الا قت بمؤنته ولم  
أر فى طريقى الا كل مؤذب أو حسن الاخلاق مهذب وكم  
عزيت بكتبهم من أهمهم الامال الدنيوية وغرتهم الامانى  
الخبيالية يجردون من العزلة ما يوافق لذاتهم وبلائهم شهواتهم  
ثم يتهمون أنفسهم بانها أضلتهم وفي مهاوى الغرور أوقعتهم  
وطالما هم متبتع بيب العزلة لآخرين من بعض الفقراء  
والمساكين فلم أر الا من أعماه هواطيشه وأعماه حب عيشه

فكانوا يصغون لما أقول أولاً طامعين أن يحصلوا منه مالا ونبيلا  
فإذا رأوا أن سعيي يفسد مآولهم ارتدوا على أصولهم ولا موني  
على عدم اتباعهم

ولست بنظر إلى جانب الفنى

إذا كانت لعلماء في جانب الفقر

وطالما عنفوني على انفرادى وبرزوا غاية جهدهم في ارتدادى  
زعمائى كون معهم أنفع للناس وأقرب للاستئناس

شعر

وما علموا أنى إذا ملت مرة

لهذا وهذا لم أجد صاحباً عندي

ولم أرفى غيرى رجاء ولا وفا

فلقد ردت نفسى ثم عشت بها وحدى

وكنيت وأنا فى هذه الحالة الهنيهة والعيشة المرضية أمثل

لنفسى جميع التقلبات التى مضت والعلاقات التى مرت

وانقضت كتداخلى عند أهل الثروة والأمره وتعلقى بالذات

والشهره والنشبت بالاراء المخاطبه ونمسيكى بالأقوال

المختبطه فأرى مثل كثير من يقتلون عليها ويسعون

بجهدهم اليها كمثل أمواج البحر تراحمت وعات فوق بعضها

وزاكت فإذا أنت لبر لا شت وتصرمت

## شعر

فسامت جسمي بانثاره • لنهر اللبالي وتبارره  
 فلا بدني صبي في محيط • أحاط الاثام بأنظاره  
 وجردت نفسي من فيها • تجرد محقة ركازه  
 وقت أشاهد صنع الاله • وأنظر في حكم أقداره  
 وغادرت داري في حبان • أرى نعم الله في داره  
 قال ولم تكن صومعني في مكان ترى منه عجائب المخلوقات التي  
 ترفع قدر التصورات فتتخذ من العالم السفلي وتصل إلى العالم  
 العلوي بل لوضاعتها في يدى وعلموا في كاري كنت أنظر فيما  
 صنع الباري وأجول بفكري في أمور غير ظاهرة قاري من  
 مخالتي أشياء باهره

وأما وصف البقعه التي كانت فيها الصومعه فذلك ان النهر  
 كان يسلك أمامي على خط مستقيم في رسم خلسجام مظلم  
 بالشجر الجسيم وكان الشجر متفاد في الساق متباين في  
 الاوراق كالشبر والزيتون واللبغ والزيتون وغيرها من  
 ذوات السوق المرتفعه والعسيبيات المتفرعه كأنها بستان  
 من فوق بستان أوريجان فرس فوق رمان وكم من رواج  
 أزهار تخرج من تلك الاشجار ان مر بها أحد عاقت بلباسه  
 أو خطر ما بها التسميم عطرت ذكي أنفاسه فاذا كان فصل

الريـح رأيت الارض مـروجا ونظرت الى أبيض أزهارها  
فـعـينته ثلوجا وان جاء فصل الشتاء أقبلت عليك طيور شتى  
وباهت بريشها وأوراق الشجر وكاد ان لا يحصرها النظر فمن  
بـيـغالات تشكلم وحمائم تترنم وعنادل تـهـدر وشعار برترس  
أما القردة فتناهيك بأسرايها وداعيك الى الفرجة على العابها  
فانها تارة تتعلق بالنصون وتعبث كما تعبث المجنون وتارة  
تتعلق بأذنابها في القروع وتندلى في الهوى بغير وقوع وتقل  
صغارها من شجرة الى شجرة بالخمسة والستة والعشرة  
في أمن من الصياد وحبائله وبني آدم ورزائله

ولانـمـع هناك غير أصوات الطيور والحنان البابل والشهـرور  
أو أصداؤها تنعكس على بعد في الغابات فتعبد أحسن ما يكون  
في النغمات أو خير جـدول يقع على الصخور فيتكسر بين  
بعض الشلالات حتى اذا نزل في الوادي صار كالمرآة وأظهر في  
وجهه وجه من رآه ومن كثرة صفائه ورقه مائه لا يزال  
النسيم يبل فيه أذياله ويمر بها على الحرف يقطع أوصاله وينشر  
الحضرة في كل محل ولو على رأس الجبل وهناك حضرة فريدة  
ومن أصوات المياه بعيدة اذا جلست عليها كشفت لك عن  
هذا المنظر البهي فتسمع ما تحب وترى ما تشتهي  
قال وكذا اذا اشتد الحر ويدس الجو واقفر ذهبنا عند

الصخرة المذكورة وتفدينا هذا لك على أحسن صورة  
 وكانت ورد جنة من طيبينها إذا أكلت ثمرة حفظت بذرتها  
 وغرسها وقالت إن أصل الانبجار ابرار ولا بد أن يأكل من  
 هذى طيرا ورجل مار فاتفق لها يوما وهي عندي أن أكلت  
 ثمرة من تمر القان الهندي وبعد أن أكلتها غرست كل الأبرار  
 فنبئت بعد ذلك منها عدة أشجار وكان من جملة شجرة من  
 ذوات الأثمار ولما سافرت ورد جنة كان ارتفاع تلك الشجرة  
 قدر ذراع فمضى عليا سمتان الاوصارت تباع عشرين قدما  
 في الارتفاع ثم أخرجت ثمرا كثيرا صغيرا منه وكبيرا لم يقبل  
 ذات يوم فرآى شجرة منهن كبيرة قد طلعت من برة صغيرة وهو  
 يعلم أن حبيبتها هي التي زرعتها يوم أكلت الثمرة وغرست  
 بزرها فحزن على أنها غابت حتى صارت الأبرار أشجارا وحلفت  
 الأشجار أثمارا وفي الواقع أن الأشجار التي نراها كل يوم  
 لأنشعر منها بمرعة ما يمر من أعمارنا ولا نعلم ونحن معها كم  
 مضى من أيامنا أما التي نغيب عنها ثم نرجع لها بغتة نعلم من  
 نموها ما مضى من أيامنا البته وكذلك من غاب عن وطنه فرجع  
 فلم يجد أحدا من أنداده بل رأى أولاده أو أولاد أولاده فلم يقدر  
 ما مضى من عمره وصار عندها مخبر في أمره ومن ثم تنبئه بقول  
 الطول غيب عرسه من كثرة نموه هذا الشجر بعد غرسه فصار

نارة يمدل الى قاعه لان ورد جنبه غابت من يوم ذرعه ونارة يراه  
 أنرا من آثار خيراتها وعلامة ظاهرة على مبراتها فيعن اليها  
 وينتطف عليها وينشدها

شعر

- أبارعك الله يا ذى الشجرة
- باليت منك فى حماها عشرة
- انك عندى أشرف الانار
- وأحسن النبات والاشجار
- فلا لعلك الدهر يوما الا
- حباك أهلا ومكانا سهلا
- ودمت كالخلى على النبات
- فأنت غرس أشرف البنات

قال وكنت بعدها اذا بحثت عن قبول ولم أراه وجدته دون شك  
 تحت هذه الشجرة واتفق ان رأيتهم ملقيا تحتها يوما مماؤا  
 هما وضا ففقدت معه محاورة يطول شرحها ويملو صرحها  
 فبرأنى أرجو على كبر سننى ان يغفر لى هذا التطويل الذى حصل  
 منى فانى كسير الاشواق قريب من الدنيا لا فراق وقد رتب  
 تلك المحاورة على السؤال والجواب وجعلتها كبقية هذا الكتاب  
 فى سلامة من الذوق وكثرة الاداب

وذلك انه قال لي

اني لاءتجرع مرارة البين فان ورد جنة قد سافرت منذ سنين  
وشهرين ولها ثمانية اشهر لم ردها خبر وموقفت لها على اثر  
ولا يخفى انها غيبة وانا قد برفلا شك انها نسيتني من باب التقدير  
فها قد عزمتم على السفر الى الجزائر لادخل في خدمة أحد  
الأكابر واجتهدتني أغتني منها لاجل ان خاتمتها تزوجني بها  
لاني أكون قد صرت أميرا وما كنت مالا كثيرا  
فقلت له

يا أخا العرب ألم تقل لي انك لا حسب لك ولا نسب  
فقال لي

نعم لكنني لا أدري ما الحسب وما كيفية النسب اني ما  
رأيتني أقل الناس حسبا ولا رأيتهم أكثر مني نسبا  
فقلت له

ان لم يكن لك ذلك فلا تصل في الدولة الى خدمه ولا تصير من أهل  
الشرف والكلمه

فقال لي

لم تقل لي ان في الجزائر يصل الانسان الى أعلا الدرجات وذكرت  
لي كثيرا من حيل الخيرات وظهروا بالنظا هر بعد ان لم يكونوا  
شبا واشتهر أمرهم وكانوا قبل ذلك نسبيا منسبا وأرا ان الان

نوجب شكواي وانهض قواي  
فقلت له

نعم قلت لك مما سبق في غابر الا زمان . ولقد تغيرت الاحوال  
الان فصار كل شيء يباع باثمان واختصت المزايا الجلبية  
ببعض عائلات قلبه . حتى حضر والخير بينهم ولم يمتعوا به  
غيرهم وصار الملك كالشمس وهم حوله كالسحاب حتى توارت  
بالحجاب في المستحيل ان يحصل لك شعاع من أشعته . أو تلاحظك  
عين من عينه . واعلم يا ولدي انه مرت أيام أحسن من هذه الايام  
كانت بها أشعة الملك تصل الى الرعية على الدوام فتقدمت فيها  
المعارف وانتشرت العلوم وانتصف من الظالم للظلم كالارض  
الحبيدة ان أفاحت أجادت وعلى سائر النباتات بعصارتها  
جادت ليكن مثلهؤلاء الملوك الاكابر لا يوجد الا في النادر  
وأما العامة منهم فانهم يسامون الامر لمن حولهم

فقال لي

وما أدراك لي أجد أمير ايجماني على كنفه . ويدخلني تحت  
كنفه

فقلت له

ان رمت الحماية عند الامرا أو الدخول في كنف الوزراء  
فلا بد لك من السعي في مرضاتهم وارزكاب ما يشق غايل لذاتهم

وانت لانصالح لذلك أبدا ولا تقدر ان توافق منهم أحدا لانك  
رحيم رؤوف كريم النفس عفيف

فقال لي

اني بصديق وأمانتي وحسن سلوكي في نادية خدمتكم استعفى  
ان يتخذني مضافا لخدماءكم أو أكون له منادما وهذا  
في تأريخ الاقدمين رأيته وعليك فريته وعذرك رويته  
فقال له

اعلم يا ولدي ان أكابر الرومانيين وامراء اليونانيين كانوا يحترمون  
افضل وأهمه ويعظمون ذوى المعارف بالجملة فخاص في  
أيامهم خلف من مشاهير الرجال وجماعة من الابطال ممن  
أجادوا الفنون والعلوم وأتقنوا المنشور والمنظوم ولم أر أحدا  
منهم اعتنى بشانه ولا نظر الى علومه فانه فصيح قول القائل

شعر

من كان ذا فاقة مال الزمان به

ولا يبعد الامن حوى مالا

لو كان لا يكلب مال مع نجاسته

للقبوه بـ كلب الدين اجلالا

فقال لي

ان لم أجد أميرا انتهى اليه وأعول في أموري عليه أدعرك في

طائفة من طوائف المستغربين أو تعلق ببعض المترمين  
واتخذ معهم مهاداً استطيع وأحبب نفسي إلى الجميع  
فقلت له

حينئذ نصير كبقية الناس الذين يفرطون في أعراسهم حباني  
الأكياس

فقال لي

كللاً أسلك إلا بالصدق ولا أقول إلا الحق  
فقلت له

إن كان كائنك كرفانك نصير بغيبض الكل قرين الذل فإن الطمع  
أهمهم وحب المناصب والرياسة أهمهم يحملون صروف  
أهم محبة في الدرهم

فقال لي

ما أسوأ أحوالي وأكثر أحراني أهكذا كل شيء ياباني وقد  
حكم علي أن أقضي هكذا حباني وإن لا تقضي لي بعض حاجاتي  
قليل المني والماله مبعدا عن ورجته ثم فطبت وعيس وتأوه  
وتنفس وظهرت عليه علامات البأس  
فقلت له

نوكل على الله في كل حين ولذبحباده الصالحين فإن بيوت الحميد  
وولاة الأحكام والعامّة والملوك والخدام كل له عيب ظاهر

وكبر مدقاهر فان خدمت احدا منهم فلا بد لك من العيوب  
وارتكاب الذنوب وامار بك وعياده الجلبلة فانهم لا يطالبون  
منك الا الفضيلة

ولاى شئ تزيد الامتياز عن الناس اما فى الكلمة واما فى اللباس  
ان هذه لحصلة ذميمة وطريقة غير مستقيمة لانها لو كانت  
طبيعية فى سائر الافراد لاصحح كل العالم اضطداد ولاقتل الرجل  
مع عرسه فى داره وجار الجاره على جاره فقم مقامك واستقم  
حيث اقامك وان بقى فيك بعض من المروء او شئ من اوصاف  
اهل الفتوة فلا تمهل لان تكون من الاكابر فانهم اسلمون  
قيادهم للاصاغر وان الاصاغر تعيش تحت كتفهم بالسعى فى غشهم  
وتافهم ليجردوا عيشا رغدا ويجمعوا مالا ليدا وبذلك التنى  
انت بها وصنعك التى انقطعت لها فجد بها الرزق الكفاف  
والعيش مع العفاف ولا حاجة لك بالغش والتمليق والذل  
والضيق كما هى طبيعة لذوى العقول السخيفة الذين يطالبون  
الدنيا على انها جيفة انك مادمت فى حالة لا تخرجك عن الشرف  
ولا تقربك من التاف فانك لا تزال من الصالحين ولا تنفك  
من سمن المتقين فابالذثم اياك ان تتشبهت بما يشين دينك  
ودنياك واحمد الله على السلامه وانك لا تسمع الملامه انك  
بين اهلك واحبابك وعشيرتك واصحابك لفى عيش

نحمدك عليه الامرا وتغبطك الملوك والوزرا  
فقال لي

نعم لم أحتج الا لورد جنه فان بعدها تاروقر بها جنه وهي  
حبي ونسبي وأمي وأبي وحيث ان خالتيها تزيدها زوجا غيري  
من أهل الشهرة وأصحاب الثروة والمقدرة فها أنا عزمت على  
الانهمالك في المطالعة وادراك ما في الكتب النافعة لانها  
لا تقنى ولا تنفد وان اسم صاحبها مخدوم ومن نحلى منها بلباس  
فقد استوجب احترام الناس

فقلت له

نعم لكنك لا تكسب الا بعد كد وتعب وعطش وسغب وان  
المرء يكون بها هادفا لا قذف وعرضة لا طرح والحذف ومن  
سلط عليه معاصره فقد قل ناصره فان العالم يقتني أثر العالم كما  
يسلط الظالم على الظالم لان كلامهم لا يهجه غير عقله  
ولا يستحسن قولا غير قوله وأما قولك انك بالكتب تنفع ويعلمو  
قدرك وترفع فالزراعة من تلك الكتب أبدى وأقوم طريقا  
للمنفعة وأهدى لان من أنبت سميلة فقد أتى بالعجاب وخدم  
الناس أكثر ممن أهداهم كتاب

فقال لي

صدقت فان شجرة القشطة التي غرسها وورد جنه كانت منها

لاهل هذه الجزيرة أعظم منه ولا شك انها تبقى على ممر الحقب  
وتدفع للناس أكثر من خزانة كتب ثم هي على الشجرة وضمتها  
لصدره وصار يقابلها وهو متعبر في أمره  
فقلت له

واعلم ان الكتب التي تأمر الناس بالاستواء في المحبة وعدم  
تجاوز الفضيلة مثقال حبه كالأحاديث النبوية والكتب  
السموية فطالما اتخذها الملوك وسيلة لنفاذ مقاصدهم  
وجعلوها سلما لكابدهم وكم ظلم الناس بعضهم احتجاجا بها  
واستنادا في الأسباب على أقمن يأمن بعد ذلك ان يتقرب للناس  
بكتاب ويكون في فعله قد أصاب أما كفى ما جرى لأغلب الأدبا  
واكثر الخطباء فاء وميروس على جودة شعره كان يسأل  
طول عمره وسفراط الذي وعظ اليونان بعلمه وعمله سم واحرم  
من أجله وأخذ أذلاطون تلميذه أسيرا وما أمر بأمره الاملك  
كان يحبه كثيرا ولا تنس فيثاغورس الذي نشر الفضل بين  
الناس والحيوان فإنه آل امره الى ان احرق بالنيران وهكذا  
اغلب مشاهير الرجال رأ أكثر الفحول والابطال قد بلغنا عنهم  
ما تجرعوا وان الناس على سوء معاملتهم أجمعوا وذلك  
لنظايرهم لديهم وكثرة التردد عليهم فان قيل عن أحد منهم  
سعد جده وارتفع شأنه ومجده فلانه كان عن الناس مبعدا

ومن معاصريه منفردا ومثله كمثل التماثيل التي توجد في  
 خرافات اليونان والاثار المدفونة من قديم الزمان ما وقاهما من  
 لكسر الاموار انهما في التراب واحتجابهما من الناس بحجاب  
 فهما قد علمت انك اذا اردت الشهرة بالادب لتستغنى عن  
 ذنب والنسب فالتزم العفة والشرف على انك تكون بهما  
 معرضا للتلذذ وحاشاك ان تستميل الاغنياء بمعلومك فانهم  
 لا يعبئون بك ولا بمعلوماتك لانهم لا يلتفتون الا لما يكسب  
 الشهرة والمظاهر والتقرب من الملوك والاكابر واعلم اننا في  
 زمن لا يعنى فيه الا بالالذات وتحصيل الاموال وان المعارف  
 والفضائل لا شربة لها في كل حال ولقد كان للمعارف شأن  
 في المحافل والمجالس وقد رعت في جميع المدارس والان  
 لا وجود لها الا في الدفاتر ولا ذكر لها الا في المدساكر وهذه  
 الكتب وان سكنت عند الناس لا قيمة لها فلم تزل حافظة  
 مقدارها لان فيها اشبهما بالفضل الذي هجروا تسليمة لكل  
 فان وضجر وارشاد الامة وتنويرا وتفكير الملوك بالحق  
 وتذكيرا وان درجة التأليف اعلى الدرجات وأرقاها  
 وأحسن ما من اقبله على عباده الذين اصطفاه فان من ألف  
 كتابا قد سلاه وشرح صدره وهناه سيما اذا علم انه يبتقى  
 للذرائر المقبلة وانه ينقل من عائلته الى عائلته فيكون مرشدا

للضالين وواعظ الظامئين وانه بعد طول هجرانه وكثرة  
 تركه ونسيانه يشتهر أمره ويعلو شأنه وقدره ويجلده  
 خلوداته في جنبه الملوك وأثارهم وتحرس عنه متملة قلوبهم  
 وشعارهم

فقال لي

اني لا أطعم في هذا الفخر الا لانشره على وردجته وأجعل ذكراها  
 به يرنا عظم ربه حتى تسير بذكراها الركبان وتصير به سيدة  
 السمات والذوان وأنت يا أبنى بالله عليك وحق خضوعي  
 بين يديك ان كنت تعلم طرفا من الغيوب وانه سيجمع  
 المحب بالمحب وبفعله تني بالخبر الصحيح وادخل على التفرج  
 فاني لا أريد ان أطلع على الغيب الا لعرف حظي معها بلاربيب  
 فقلت له

ان كان الانسان يعلم بما كتب عليه وأطلع في الغيب على ما  
 يؤل أمره اليه ورأى المصيبة عليه قابله والبلية فوقه نازله  
 زاد طيشه وتنقص عيشه فلا يجوز التجرف في الاشياء التي نراها  
 فانما علمها عند من براها وان الله تعالى كما وهبنا العقل نتدارك  
 به الاحتياج فقد خسرنا بالجزو الضعف من عالمنا المحتاج  
 فقلت لي

حيث انك ذكرت لي ان الانسان بالسرورة يكسب الشرف فيها

بوردة و لو في الحلم أما ان كان لابد من الفراق ولا سبيل الى  
التلاق فقل لي هل هي على مهدي حافظة لقد يمودي وهل  
لا تزال تحبني وهي بين فرقة من ندماء السلطان وهل تعود الى  
وهم يتزاحرون عليها في كل آن

فقلت له

يا ربي انها لا شك تحبك وغاية منها ما قربك والدليل على  
ذلك انها من أعقل البنات وأجل النساء المخدرات فاما مع  
ذلك أفيل على وقبلتي بين عيني

ثم قال لي

لكني قرأت في السير ووقفت على الاثر فرأيت ان النساء  
خائنات أصحح ذلك أم يعدن الخرافات  
فقلت له

اعلم انه في كل حله وكل شعبة وماله منى ظلمت النساء الرجال  
جبرت النساء على الاحتيال

فقال لي

ابن لي ذلك فاني ما فهمته وما حققته وما علمته  
فقلت له

نعم ان الظلم من عدم الخيار وقلة الاختيار فانهم يزوجون  
البنت قبل ان تستشار ويعطون الشابة للرجل الممنون

ولزكية العرف للمنتن

فقال

ولاى شئ لا يزوجهن بما يناسب فبطون الشابة الشاب  
والطبية للطبيب

فقلت له

لان اغلب الاشياء ان لا تملك اموالنا كفى لزواجهم وانهم لا  
يجهلون بها الا في ايام كبرهم وامور جاجهم فاذا كانوا صغارا سموا  
في اطلاق جاراتهم واذا شاخوا فلا يقدر ان يوازيهم نساءهم  
فكم يخونون وهم صغار فمكذلك يخانون وهم كبار وهكذا  
من خان بخان وكذبى الفنى يدان وقد قضى الله فى جميع البلاد  
التي لا يقيم فيها الخير بالفساوى على العباد ان تكون هذه  
مناقبهم وان تؤل الى مثل ذلك عواقبهم كالروض لا يعيش  
فيه النباتات الصغيرة تحت ظل الشجر الكبير ونادى الامر  
فان البلد لا تخلوا اهلها من الفساوى حتى يقسم الرزق عليهم  
بالفساوى

فقال

وما اخرج المرء لكثرة الزواج لبشاهل الى الزواج

فقلت له

لبعيش غنبا عن العمل مستغرفانى بجمار الكسل

فقال لي

بست هذه طبيعته فانها والله شنيعة أما أنا فمندی الشغل  
أحسن لان فيه صحة العقل والجسد  
فقلت له

ان أهل المدن من يستغل منهم بالحرف فقد أضرهم بالذوق  
والشرف حتى انهم عابوا الاشتغال بالزراعة وفضلوا عليها  
الملاحة ومنهم كل خادم ولو لملاح أحسن من رجل  
فلاح

فقال لي

وهل الصنعة التي يفتات منها الآن ان تكون محترفة في البلدان  
فقلت له

انه يثقل على من شغل في الخلوات على سمن لطبيعته ان يقف  
على عيوب أهل المدن الوسيعة فان الطبقات قد نسبت  
وأما السبب فانها لا تزد ولا تنقص وكل من الجمال  
والفضيلة والسعادة فانية ونسبه وليس لا قبح والذيلة  
والشقاء مدولا حسيبه

فقال لي

ان الاعتياد على ما تقول بعد الايمانهم شيء مما يريدونه وانهم  
يتأذون كثيرا مما يحبونه

## نقلت له

ان أغلبهم لكثرة انهما كه في اللذات وتغلبه في الشهوات  
فقد صار لا يشتهق اليها لكثرة ادمانه عليها فان الراحة لا تاذ  
الا بعد التعب والا كل لا يطيّب الا عند التعب والشرب  
لا يخلو الا مع الظما والنور لا يشتهق اليه الا ذو العمي وان  
لذة الوصول لا تكون الا بعد المجران وحسن التمتع لا يأتي  
الا بعد الحرمان ولما كان الفى دافعا لجميع الاحتياجات  
البشرية صارت الاغنياء لا تلتزم شي بالكفاية اتسام  
نفوسهم من الاشياء الوافرة ومن الكبر المتولد من المقدره  
فان حصل لهم ادنى حرمان أو بقض نقصان أبي كبرهم الا  
ان بغض وتكدر عيشهم من النقص ولا يملكون انزال هذه  
المضر عنهم لانه في الاصل ناشئ منهم فتألم كالورد وشوكة  
فان الوردية لذبة زمانا سيرا واداشت شوكته يتألم منها كثيرا  
فكانت نسبة المضره التي تحصل لهم في أثناء اللذات كنسبة شحم  
الورد وما يحصل منه من الشكات وأما الفقراء فبخلاف ذلك وفي  
بعض ما هنالك انما لهم سرور وسط شرور كان كالورد بين الشوك  
الكثير فهم منه يتأذون أكثر مما هم منه يتأذون لان  
الطيب يملو عند وجود ضده كما ان حرارة اليوم تؤلف عند برده  
ذلك حكمة الحكيم وتقدير المزيروا المليم ففي أى الحالين فرغ

وهي أي جنب زبدان تنقلب فالأولى حالة الأسرا والآخرى حالة  
الفقرا وهاتان الحالتان لا يرضاهما قط من مال بالطبع إلى  
المروءة والعيش الوسط

نقال إلى

أفدني بلغت إذا ما معنى المروءة هنا

فقلت له

المروءة هي أن يكدم المرء نفسه لفعل الخير وأن يقصد بذلك وجه  
الله لا غير وأنت كاد لنفسك في يومك وأمرتك وبأذل غاية  
جهلك في الطعام أهلك من كدك فليست تحتاج لعرفه المروء  
لأنك معدن الكرم والفتوة

نقال إلى

ما أكثر مصروءة ورد جنه فانه اتطالب الفنى حيناً في فعل الخيرات  
وشوقاً لبذل المبرات فستعود لما ان شاء الله سألته ورجع  
بمروتها غانمة

ثم ما زالت فكرته تهف بهودتها واعينه تنرامى على رؤيتها  
حتى زال عنه ما به من الخير وتغشيت منه سمات الغيرة  
وكانت ورد جنه لم تكذب له كتاباً ولم يزد له جواباً لأنها كانت  
مشرقة على القدر مستبشرة بان الفراق لا يدوم وكان لا يلزم  
طوبى لمن لوصواها اذا ساء لها الحرا وجاء على وفق ما تموى

فكان قبول بحسب سير السفن ويقول ان سفن التجارة  
الصغيرة اذا شرعت في المسير تقطع اربعة آلاف فرسخ في اقل  
من سنة شهرين واما سفنهم فانقطعت هافش هرين ارفش هير  
واسبومين لانها في غاية الخفة والصلاية وملاحبها في اعداء  
درجة من النجاسة ثم اخذ فحدث فيها يلزم لملاقاة هار ما يلزم  
ان يبني من البيوت اها وصار يسلي نفسه بوصولها وبنالذ  
مقدم ما يجاسيراه من ذواجه بها وكما خطر بباله انها تصير  
امرأته ارنعت فرائده راضطربت وذنبت ساعته راقربت  
وقال لي يا ابني لا بد ان تصنع معك ما انت أهله من الاحسان  
فار ورجسته قد صارت من اقباء هذا الزمان فلا بد ان  
تشتري لك كثيرا من العبيد فاحوز لك ارض هذه البر يدوتقضي  
الديش مضافا انشراح ولا تفكر الا في تجديد الافراح ثم ياخذ  
الطرب من ذلك فيذهب الى المستبدور ويخبرها بما قام به من  
السرور وما مضى الا من يسير حتى تغير حاله وانقلب افكاره  
واماله وذلك لان تراكم الافراح يثقل الحزن والمر لا زال  
ينقلب بتقلب الزمن ولقد سمعته يقول ان وردجنة قطعت كتبها  
عني وعزمت على عدم القرب مني لانها لو كانت سافرت من  
الجزائر لكانت ارسالت لنا البشائر ان الذي قبل عنها لا بد  
قد جرى وان خالنها قد زوجنها بأحد الاسراء لاشك ان حب

التي أصابها ومعنى أعماما وما الكتب التي تمدح  
الذات الآمن ببعض الخرافات لأنها لو كان هذا أثر المرأة  
لما تركتني وترك أمها أما علمت أني أسف ما بها مشغول بها  
حتى تشغل عني بالذات ونهاها بتباعد المسرات لقد سئمت  
والله نفسي الانفعال وكهت النساء والرجال اللهم أتراراً لحرب  
في الهند فاذهب إليه والتي بنفسى ما به لاقع بينهم جريحاً أو  
أموت فاستريحاً فقلت له إن الشجاعة المؤدية للموت هذه همة  
وقته حركها فبنا فقرأ الرجال الرديه على أن فينا شجاعة أعظم  
من تلك وأحرم وبها نعمل من هذه المبتدأ ما هو أهم وهي  
الصبر مفتاح الفرج دكي العرف والارج لا يتوقف على نصيحة  
ناصح ولا يؤخذ من قول مائن أو شارح

شعر

الصبر مثل اسمه سر مذاقته

ليكن موافقه أحلى من العسل

ومن لم يصبر على المصيبة ويجلد على فراق حبيب أو حبيبته  
فذلك فاقد للاخوه وعادم للانسانية والمروءة

فصاح مناوؤها وأشار منقوها

صديقت فاني لامرؤة مندى ولو بذلت في نحبها ما جهدي فاني  
عدمت الصبر بين الناس وأوقعت نفسي في حالة البأس

## فقاتله

اعلم يا ولدي ان الصبر اسم ان نشر لا وجود له في البشر ولا يطيقه  
 الا الانبياء والاولياء واما اذا هممتنا المصائب وكرت علينا الموانع  
 وذهل العقل منا وولت افضل المآثر منا لانزى غير الادب  
 والحكم تزيل بها الهمة والغم وهي منه من الله بها على العباد  
 ونشرها في كل واد فهي كالشمس تضيئ وتدنئ وتزيل الغم وتنقي  
 وبها تقرب لنا الاشياء وتنظم احوال الدنيا تستعين بها  
 النفوس على الحسنات وتهزم جيوش السيئات وتعرض على  
 اتباع الفضيلة وتضرب الامثال لاجتناب الرذيلة ولقد  
 كانت تلك الادب والحكم من السماء في اعلى الآفاق فاراد الله  
 نزولها على الارض لتهدى بها الاخلاق فتزلت وصارت تسليمة في  
 الخطوب وتفرج بها الكروب وان مشاهير الرجال الادبا واهل  
 هذا الفضل النجباء كان ظهورهم في اعصار مكربه واخلاق غير  
 مؤدبه فابدهم في المنشور والمنظوم وفرجوا هم كل مهموم  
 وكرموا كثر منك مما سلوه واعظم كرميا فرجوا عنه وهنوه  
 فافرا يا ولدي هذه الكتب الطيبة فان الحكماء الذين افقرها كانوا  
 اهل تجربه سبقونا في طريق الدوائف ومن ذوا الديدن هم  
 بالكتب البناء ونحن في اعراض المصائب فبأقوالهم تنصلي  
 وبفضائلهم تنعالي

شعر

ومن لم يجد في الناس خلاصا واقفا •

يبدله في أيامه بكتاب •

فقال قبول أو أهوان ورد جنة متى لما كنت بفاري كأنها لم تكن  
 تقرأ لو كانت يجوارى فانها حين كانت تنظر الي وتتردد بمحببتها  
 على كانه من المحال على أن أغتم أو أن نفس من شيء أو أهتم  
 فقلت له ان حب المرأة للرجل - عادة أبدية وعيشة راضية  
 مرضية فان اهما مدام حبة لطيفة وموانسة طريفة تزيل ما  
 بالرجل من الحزن وتبينه على صروب الزمن وكان وجهها  
 مغطا بيس الانس ونفحة من نفحات القدس نورث الرجل  
 سرورا وتزيل عنه وساوسه فابشر يا ولدي بقدم ورد جنة  
 من قريب ولا بد لك فيها نصيب وانها ستوردك الف غنم  
 بالغة رشدها منعامه وستحبب منك على اهل الان في ايامه  
 وتعاتبك على ما تراه فيه من النقصان لانها على طول قربتها  
 وتضررها من مذاب خالتها وبهدها عنك وعن أمها  
 لا يزال حب البستان نصيب عينها

قال احدث في قبول تصور رجوع ورد جنة فازداد قوة وفطنة  
 ورجع الى عمله في الفلاحة والبس البستان ثوب ملاحه وصار  
 يخترع فيه من فنونه وينظمه بقوة عشقه وشجرته

فاما كانت صبيحة الرابع والعشرين من شهر تشرين رأى  
قبول بيرقاعى حصن المدينة وكان هذا دليلا على قدوم سفينه  
فضى الى المدينة ليفف على الاثر ويسأل هل ورد من ورد جنة  
كتاب أو خبر وانتظر رجوع رئيس اليمان بالاقاده لانه  
كان قد خرج للسفينة على حسب العاده ولما ان رجع الى حاكم  
البلد ودخل عليه دنا منه ووقف بين يديه وأخبره بان هذه  
المركب تسمى بالغراب قد أقبلت من الجزائر مع كثير من الركاب  
وحمولتها سبع مائة طن ولانه تحت رياسة القبودان شعاعته  
وانها بعيدة عن الارض بقدر أربعة فراسخ فى العرض وانها  
لاتدخل الميناء الا فى الغد بعد الزوال اذا كان الهواء فى غاية  
الاعتدال ومع ذلك فلم يكن الهواء مساعدا ولا الجو طيبا  
أبدا ثم أعطاه ما ورد من الاوراق برمتها فكان فيهم خطاب  
لست بدور من ابتها فاخذت فقه قبول لوقته وطاربه الى بيته  
ولما نظروا له ينتظرونه على هذا الدواع رفع الخطاب فى الهواء  
كالشراع وأشار به الى البعد وهو مبكم لا يقدر من فرجه ان  
يتكلم

قال فحضرت الجيران عند الست بدور ليسعوا هذا المسطور  
فكان فيه ان خالتهما جرعتهما أنواع العذاب ونقصت عليهما  
الطعام والشراب وأرادت ان تزوجها بالرغم عنها وأحرمتهما

من أرثها وتبرأت منها وأرسلتها في فصل الشتاء لاهلها  
وما سألت جماعة ان يحصل من البحر لها وانها كلما طابت  
منها شيئا لاهلها عيبت رادعت انها أذلت ونهرتها وسببتها  
والى الجنون نسبها

ثم ختمت وردجنة كتابها بذكر ما قاسته من الشوق وما تابها  
وانها حضرت لبداها ومسقط رأسها وهي على ظهر البحر  
رهينة تنظر على البعد الى المدينة ولولا ان قبودان المركب  
منعهما من التزول حين جاء رئيس اليمان على صندله محمول  
لكان زلت فيه لقبول واسكنه احتج لها بأن البحر كان عاليا  
وان موجه كان متواليا

قال فتمت قراءة هذا الخطاب حتى انقسم كل من سمع وطاب  
وهللا وصفقوا ومن رؤية وردجنة أشفقوا وانفقوا في الغد  
على مقاديرها وهنوا أنفسهم بسلامتها فقالت الست بدور  
لقبول أخبر جارتا بتقدم وردجنة هنا فاقدم مرجان شعله  
من الخشب وأتى هو وقبول عدى وهما في غاية من الطرب  
وكان ذلك بعد العشاء بساعة وقد هجعت الجماعة وكنت  
طفيت فندبلى وعصبت رأسي بمنديلى وتهبشت للثوم شاكر  
الله على سلامتي في هذا اليوم وما أشعر الا ونور ظهر من بعض  
طبقان المنزل ثم سمعت صوت قبول وهو مقبل ولما ناداني

فأتى إليه وأبست ثيابه وخرجت عليه فماتتني وهو في غابة  
الفرح وصدره قد انشرح وقال لي قم بنا فان ورد جنة جاءت  
هنا وانها اذا ساعدتها الرياح دخلت مركبها الميناء على الصباح  
فقصدنا الميناء من طريق الغابة ونحن في غاية القوة والصلابة  
وبينما نحن في سيرنا واذا برجل يمشي من خلفنا فوقفنا له حتى  
دنا فسألناه عن حقيقة أمره ولاي شيء يسرع في سيره فقال  
وهو في غابة الخير انه من عبيد هذه الجزيرة وانه جاء بخبر  
الحاكم بمركب أنت تحت جزيرة العنبر تضرب المدافع طلبا  
للاغاثة على خطر البحر فانه كبر عليها وأتعبها ويخشى منه ان  
يركبها ثم استمر العبد في طريقه وهو من شدة سيره يكاد ان  
يشرق بريقه

فقلت حينئذ لقبول سر بالارض الذهب فان السير بالليل  
يستعجب وهي كائنة جهة الشمال وليس بيننا وبينها الا بعض  
أميال فسرنا وكانت ليلة شديدة الحر وكان في الجو ثلاث  
هالات حول القمر وكان السحاب كثيفا والبرق عنيفا  
ظلمات بعضها فوق بعض منتشرة حول الجزيرة بالطول  
والعرض ثم تخيلنا صوت الرعد وحققنا انها أصوات مدافع  
من بعد فدخلنا الرعب من صوت المدافع وانشعر جسدي  
من نازلة ليس لها من دون الله دافع وثبتت عندي انها علامة

الفرق وان المركب معرضة للغرق ثم سكنت صوت المدافع  
 وانقطع فكان سكونها أشد خوفاً وقلقاً  
 وتقدمنا في السير ولم ينطق أحد من أصحابنا  
 عن الخوف الذي كتمه فلما وصلنا نصف الليل إلى ساحل  
 أرض الذهب رأينا البحر هناك قد اضطرب وتدحرجت  
 أمواجه على العفريات وقد ذفت بزبدتها من جميع الجهات  
 ولا كثرة لعمان نفسها فورها وما كان يتطاير من نورها رأينا  
 فلابك الصيادين على البرحس وبيده منها المعدولة ومنها  
 المقلوبة ورأينا على البعد من مدخل الغابة شعلة من النيران  
 حولها كثير من السكان فجاءنا هناك للاستراحة إلى أن  
 ينشر الليل صياحه ويبدى الديك صياحه وبينما نحن قاعدون  
 ولم نكلام من حضرة سامعون وإذا برجل منهم يقول وهو ينظر  
 لي ويقول انه رأى بعد الظهر مركباً على بعد عشرة أميال  
 من الشجر حملها قوة التيار إلى الجزيرة وما أخفاها عن أعينهم  
 الاظلمة الليل الغريزة والله سمعها بعد الغروب بساعتين  
 تضرب مدفعين بعد مدفعين فعلم انها تطالب المعونة ونريد  
 المساعدة الا ان البحر كان هائجا فأمروا ان يرسلوا  
 لعاتنها حواجبا وترأى لهم انهم لسرحها أوقدوا ورفعوا أعلام  
 الاستغاثة وشيدوا وانهار بمادحات بين البر وبين جزيرة

العنبر فلما بان هذه الجزيرة تأوى إليها السفن المستجيرة وانه  
 ان صبح ذلك فهدى في كرب عظيم وخطب جسيم وقال رجل آخر  
 انه كثير ما مر في الخراب هيج الكائن بين جزيرة العنبر والساحل  
 وانه جس ماء فوجده للاستقبال قابل وان المركب فيه تكون  
 في أمن أمين وحصن حصين وانه لو ملك على مركب ذهبا  
 لا من عليه في هذا المكان ونام رقباه في غابة الاطمئنان  
 فقال ثالث انه يستحيل دخول المركب في هذه الجزيرة فان  
 ماءها لا يقبل الا السفن الصغيرة وذكر انه رآها خارجا من جزيرة  
 العنبر بحيث لو نسفم الهواء لا يمكنها ان تخرج في البحر لتأتى الى  
 البر ثم اضطربت بعد ذلك أقوالهم وأكثر قبيلهم وقالهم كما هي  
 عادة العامة في كل أمية وكما أنا وقبل سامعين وبقينا  
 معهم حتى نظرننا النهار بالعين انما المشاهدة العنبره والاضباب  
 وكثرة ظلمة السحاب كان لا يمكن ان نرى على البحر شيئا أبداً وننظر  
 على البعد أحداً غير شيء على البعد ظهر قبل عنه انه جزيرة العنبر  
 وان بينها وبين البر ربع فرسخ بالاكتر واشد انطباع في الجوف  
 في هذا النهار وما اعتراه من الامتكار كان لا يرى الارض  
 لابحجار وبوغض قات الحيات الكبار مما يتشقق عليها  
 السحاب ويحيط بها كثيف الضباب فلما كانت الساعة  
 الواحدة من النهار سمع مناد ينادى في الاشجار

أصوات طرنيتات العسكرية مع فريق من رجال الجهادية قد  
 اتوا مع الخا كم حاملين أسلحتهم - آخذين أهبتهم فأمران  
 بضرب بوابنا دقهم دفعة واحدة ولما ضربوها رأوا نارا في البحر  
 موقدة وخرجت بعددها ضربات مدافع متعددة فعلمنا ان  
 المركب بالقرب منا فسير بعيدة عنا ثم نظرنا من خلال  
 الضباب مركبا يرفعه البحر الى السحاب ولقربها سمعنا  
 الملاحين مهللين وبذكرا الله مكبرين باسطين اليه أكف  
 الطاب متوسلين اليه بسيد العجم والعرب ان يزيل عنهم  
 الكرب ويبعد عنهم الموت الذي اقتررب ولما رأى من في  
 المركب انه يمكنه تخليصهم من المضايق صاروا يضربون  
 المدافع في كل ثلاث دقائق فبادر الخا كم باثقاد نيران مشرقه  
 على جهات متفرقة ليقوى اركاب ويشجعهم وفي حصول  
 النجاة بطمعههم ثم طلب من الاهالي اخشابا وما كولا وأحبالا  
 وبراميل فلا فلهوها من بعضهم لما وأعطوه منها شيئا جذا  
 فأمرهم أن يرموها في البحر على عجل فألقوها وهم في غاية الوجل  
 ومن ذلك أقبل على الخا كم رجل من خيبر بالعواصف متقن  
 وقال له انا لم نزل نسمع في الليل دويافى القابات ونحريكفى ورق  
 الشجر على عدد الاوقات ودام ذلك الى الصباح مع عدم وجود  
 الرياح وان الطيور المائية قد هربت الى البر وهذا دليل على

الاهول الا كبر وعلامة على قدوم عاصفه ليس لها من دون  
الله كاشفه فقال الحاكم يا اولادى ها نحن قد استحضرنالها  
وهاى السفينة تنتظر نزولها وحقيقة كان فى الجؤ ما يدل على  
ذلك لان وسط السحاب كان اسود حالك وكانت اطرافه  
متلوثة بلون الخس وأفواهه تكاد تنفجر من شدة لاحتبار  
وكان كثير من الطير يفر الى البر لىأوى من الخطر الى معا كف  
الشجر

وما كانت الساعة الثانية من النهار سمعنا من جهة البحر صيحة  
عظيمة وفعقة جسيمة كأنما انفج فى الصور أو ترعزت  
المجال والصحور فصاحت الناس قائلة ها هى العاصفة مقبلة  
ثم هبت الزعازع فزقت ما كان فى الجؤ من الضباب وظهرت  
السفينة ومن عاها من الركاب وكانوا أنزلوا شراعاتها وربوا لنسائها  
وربطوها من الامام بأربعة زناجير وعغنة كبيرة من جهة الفجر  
وكانت راسية بين جزيرة العبر وبين رباط الرسيف المحيط  
بالبر ونفذت من محل لم تسبقها اليه فبينه فبقيت فيه أسيرة  
رهنه تاتى الموج بصدورها فيرقعها حتى تظهر أخشاب قعرها  
وتغمس مؤخرها فى الماء حتى يغيب عن النظر ولم يبق له أثر  
وطل الریح والبحر يخفضانها ويرفعانها وعلى البر وئجج  
يدفعها نهارا وهى لا تستطيع الى البحر رجوعا ولا الى البر

طولها لانه كان بينهما وبينهما وعميقه مفصولة عن  
 بعضها بأشعاب دقيقة وكانت تأتي الموجهة من البحر تخور في  
 سورها وتقم البر بنشرها فتعلوا أكثر من خمسين قدما على الأرض  
 وتغمر الرسي في طولها والعرض وإذا رجعت تكشف الأرض  
 كشفا وتنصف البحار دفعا وهي تفور وتثور وتعلو على  
 الخجان والذفور حتى أن الخاليج الذي بين هذه الجزيرة وجزيرة  
 الغنر صارت بحيرة عظيمة من ليج البحر ثم يعلو زبدها على البحار  
 فيبلغ ارتفاعه أكثر من ستمائة أمتار وكانت الرياح تختطف  
 منها ما يمكن أن يختطفه وتقطف من الزبد ما يروج اقنطافه  
 وتشره أكثر من نصف ميل على البر فكان يظن أنها تلوج  
 خارجة من البحر وصكان يظهر من علامة الجحش أن العاصفة  
 تمكث زمنا طويلا لأنها كانت تزداد قليلا قليلا حتى كاد  
 البحر أن يختلط بالسماه وان يغمر الأرض كلها بالماء وكانت  
 الرياح تختطف بعض السحاب في الحال ويبقى البعض ثابتا  
 كالجمال وما زالت السماء في حجاب والأرض والبحر في غاية  
 الانقلاب

أما السفينة فنشدة ما فاسته من الويل مدة التي رومدة  
 الليل تقطعت زناجيرها ولم ترم بجيرها وقامت صراسيتها  
 ولم تجد من يواسيها فقدفت بها الأمواج على الشعب فتكسرت

وضعت عليها الناس ونحدرت فهم يقول يرمى نفسه في البحر  
فأمكنه من ذراعه وصممت على امتناعه وقلت له يا ولدي  
اياك اياك ان تلقى بنفسك الى الهلاك فقال بلى ولكن لانجها  
أو أموت حيا فيها ولما رأينا طائر وذهل وللتزول في البحر  
تأهل ربطناه بجبل طويل وامسكنا طرفه على بعد ميل  
فأقبل على السفينة بجواره يوم تارة ويمشي تارة وكان يمكنه  
ان يقربها وان يتسلق عليها ويركبها لان البحر عند نزوله كان  
ينركها واقفه على الارض الناشفة فيمكن للرجل ان يمضي  
حولها على أقدامه وان يتمكن من مراره لكن عند عودة  
الامواج وتعالها كالابراج كانت تصدم مقدم السفينة  
تترفعه الى القربى ثم ترمى بقبول رمية عنيفة فينير معها  
كالجيفة وبأني والدم يسيل من يديه ورجليه وتظهر علامة  
الموت عليه فيصير حني يهيق لنفسه ويتمكن من نفسه  
ويرجع ثانيا من سوء محنته الى خلاص أخيه لكن السفينة من  
شدة ضرب البحر فيها اقتعها وعلى الاجار طرحها فيش من  
فيها من البصريه والقوابا أنفسهم في البحر سويه وركب البعض  
على الصواري واستعان البعض بالالواح والمداري وهموا  
من الهلاك هاربين والى الهجاة طالبين ثم رأينا بعد ذلك  
شيئا تشع له الجلود ويذوب منه الجحرا الجامود وذلك ان

ظهرت في مؤخر السفينة بذت ملعة الباب فتية الشباب  
 مائة يديها القبول وهو يسـ هي في نجاتها وكانت هي وردجنة  
 بذاتها وكانت عرفت معها المجري وهو الهايجري فلما  
 رأيت تلك البنت اللطيفة وهي معرضة للاخطار الخفيفة  
 ما تشاء لهم اربعا وازددنا بأسا وكربا وأما هي فلم يضرها قزع  
 وما اظهرت من هذا الخطب جزع بل صارت تشبه لنا بالوداع  
 الذي ليس بعده اجتماع وهي مع ذلك مطمئنة ضاحكة  
 مستبشرة بالجنة ثم ظهرت على ظهر السفينة رجل هربان ودنا  
 من وردجنة وهو حيرار وجثا على ركبتيه أمامها وزجاها  
 وهو راكع قد دامها وأراد ان يقرع ما عليها من اللباس  
 لينتبهها من الفرق والباس فدفعته عنها مع الانفة وصرفت  
 وجهها عنه بغاية العفة فصاحت عليه الناس من كل مكان  
 أن نجها نجها يا انسان وأقبل في الحال على المركب جبل من الماء  
 مرتفع برأسه الى عنان السماء فلما نظره البعري مزيدا ونظر  
 جداره أسودا فرها ربا والى النجاة طالبا وبقيت وردجنة  
 وحدها المسكينة وتطرت فرق السفينة واستعدت للقاء  
 ربها وهي واضعة يدها على قلبها كأنها ملك خرج من  
 الماء وأراد ان يبعدها الى السماء

فهر

• فيا لك يوما كثيرا الخطوب •

• قطيع الشروق شيع الغروب •

• وبالك ياد هر فينا مني •

• نراك من البقي يوما تتوب •

قال فلم تبق تلك الموجه السفينة اثرا ولم تترك لوردجنة خيرا بل طغماؤها على البرزاحفا وطرد كل من كان هناك واقفا ولقد نجا البحرى الذى كان بقرب وردجنة وفاز من الله بهذه المنه ثم ربه دخوجه ساجدا ورفع يديه من شهيدا وقال يا رب الارباب وباعثني الرقاب لا احمى ثناء عليك بما تحبتي واعقت روحى وأحييتنى وكنت أرجع حياة هذه الشابة على حياتى وأوردنجاتها ولوبوقانى

وأما أنا ومرجان فاشتغلنا فى اخراج قبول اذ فرغ من وردجنة للامول وكان الاشتغال بامرء ازم لانه كان أشرف منى الدم وسال الدم من فيه ومن أذنيه حتى ان الجاحم أعطاه الطبيب وأوصاه عليه وشرفناه بعد ذلك نبعث إلى كل الجاهة عن حشنة البنات فوجدنا الریح حادت من مهبها فجئنا ان لانه ثربها وان نحرمت جنتها من الدفن ولا يورى الى القرب والى كفن وفادرناهذا المكان أسفين على تلك الصبية أكثر من أسفنا على من هلك فى هذه البلية حتى لقد كدنا سخط على

القدر كما يحصل ذلك لبعض البشر عند الكدر وأما ما كان من  
 أمر قبول قائلهم حملوه إلى بيت قريب على أنهم ينقلونه بعد أن  
 يطيب ثم رجعت مع مرجان لتسلي السبب بدور في مصيبتها  
 ونزيرها على فقد ابنتها ولما حصلت أفوهة الوادي من نهر التورير  
 قابلنا كثيرا من العبيد عند المجنون الكبير فأخبرونا أن البحر  
 قد ف هناك قطعا من السفينة فترأنا هناك قرأينا جثة  
 البنت المسكينة وكان الرمل قد غطى نصفها ولم يبق غير الموت  
 وصفها وكانت عندها مقفولتين وشفتاهما متسمتين إنما  
 تبدل ورد خديها بأصفرار واعتري جبهة بعض افشمرار وكانت  
 بالحالة التي رأيناها في السفينة عابا واضعة على قلبها إحدى يديها  
 ضامة ثيابها باليد اليسرى حافظت صورة قبول باليد الأخرى  
 لأنها كانت طاهرة أن لا تفرط فيهما مادامت حية ثم ماتت على  
 هذا الهدوء والهدوء فترأنا من يدها مع غابة الصعوبة واندهشت  
 من تلك العجوبة وأخذتني من الدمع الاختناق وبكيت مع  
 مزيد الاحتراق وأما مرجان فشق جيبه ولطم خده وصاح  
 بصرخ في الطريق وحده ثم حملناها إلى بيت من بيوت  
 الصيادين عند بعض نساء من المساكين وقلنا لهن أن  
 يغسلنهما من الرمال وتزائعا إلى بيت أمها في الحال فلما ان  
 دخلنا وجدنا السنتين جاليتين وعلى الركب جاثبتين يدعوان

الله بوقار وسكينة ان ينقذه هذه السفينة فوق نظر الاست  
 بدور ملي وأنا بأكى العين ذاهل العقل من صرعة البين  
 فطنت لما وقع وذاب قلبها وانقطع وصاحت أين ابنتي أين  
 عزيزتي أين فرقة عيني وحبيبتي ثم خنقها البكاء فحن دموعها  
 وأباح زفرتها وولوعها وناحت اقعدوان على ايها وهلات  
 وبكت وولولت حتى وقعت مغشاة اليها فحضرنا كلنا بين  
 يديها ولما افاقت أعلمنا ما بحياة قبول وان الحاكم بعلاجه  
 مشغول فردت روحها اليها وضمت اليه بدور بين يديها  
 وأخذت نسائها وهي عندها مشغولة منهورة بالهم مقتولة وقضت  
 ليها في تلك الحالة المهيولة حتى تمت لدينا ان لا شيء من الملمات  
 يعدل ملامة الامهات وكانت كلما افاقت وأعدت لمزاجها  
 وراقت نظرت الى السماء بعين انكسار وتفتحت من  
 دموعها الصيون والانهار ولم يجد تعبنا شيئا فيها حين كنا  
 نسلمها كأننا لم نسبق لناس صعبه ولم تقدر بيننا صعبه بل لازالت  
 تئن أنين العليل وتشكو شكوى المذليل حتى طلع النهار  
 ونزل الليل وانهار

ولما كان في الغد أحضرنا قبولاً وجاءوا به محمولا وكانت ردت  
 روحه اليه الا الكلام فكان لا يقدر عليه وكنت أنظر ان يحبه  
 يزيد الامهات حسره ويقضي عاين بالمره لكنه فرج عنهما

وصرف بعض ما كان قائما بهما لانه ما نزل على الارض الا  
 ووقعنا عليه ضمما وأول مناهنا فاولت ما وسالت دموعهما  
 وكان أجدها لهم وخفقنها السكر والغم فبكى قبول معهما  
 وتوجع بينهما وبعد ان خف ما بهما من ألم الصدعة ونصرف  
 بعض تأثير الفجعة نزل عليهما الخشوع والسكون وظهرت  
 في وجوههما علامة الموت

ثم ما أشعر بعد ذلك الا وخبر من الخا كم جاءني ورجل بنه هيز  
 ورد جفنة أسرني وقال لي انها حبات وان أهالي الجزيرة  
 لجنازتها كذات وانهم ذاهبون بها الى مـجد الابرار فخرجت  
 معه وانارت بيت المأموس ونزلت على ميناء لوى فاذا عالم كبير  
 وحجم من السكان فقير قد حضر والجنازة من كل فج عميق كانهم  
 فقدوا أكبر حبيب وأمر صديق وكانت كل السفن منكسة  
 السيرانات مدلية البارق والاشارات تضرب المدافع زمنا بعد  
 زمن علامة على الحزن وأحاطت بالرجال العسا كركال زفاف  
 حاملين بنادقهم بالآلاف ضار بين طرفي بطانهم على طريقة  
 الميائتم لاعلى وجه المواقب والمواسم

شعر

• وعلى وجوههم الكريمة غيرة •

• دلت على طول المآسف والحزن •

• وهم رجال الحرب لم يحزنهم •

• وقع السيوف ولا الاسنة في البدن •

قال وكانت ثمانية من أبكاره لا كبرنهم - بل نعشها وترجع للمساء  
عرشها عليهن ثياب بيض يطاليل وفي أيديهن شئ من سعف  
القبيل وكان نهشها كقبة من الانوار مكحلة بالازهار امامه  
فرقة من أبناء الكتاب يقرؤن الكتاب وقد حضر لثهد  
امراء الناحية ثم بعد ذلك الحاكم والخاصية

هذا ما رسم به الديوار لتشييع ورددجته وتوصيها الى القبر  
الذي هو اول درجات الجنة و بعد ان وصلوا بها الى سفح الجبل  
والناس تحمل نهشها بالقبيل مروا على المنازل التي طالما أنشأها  
في حياتها وملا ثمتها وحشة بعد مماتها ثم انقض عقد الموكب  
ووضع النعش على الارض كالكوكب فصرت لا تسمع الا صويلا  
وتكبيرات و تميللا ونساء يأتين من كل مكان وبنات حسان  
وتحيط به حسان بترامين على النعش باطراف الملبوسات  
و يتبركن به تبركن بالبرازخ والمقامات ويتضرعن الى الله  
ببركنها ويتقربن اليه بواسطتها فتقول المرأة رب ارزقني  
بناتني وصفها ويتمني الصبي عرسا في ظرفةها ولطفها ويرجو  
الفقر حبيبا في صدقةها وأمانتها وتقول العبيد اللهم اجعل  
موالينا في رافتها وحنانها

ولما وصلت بحلالة قدرها الى قبرها أنزل كثير من سكان  
 مداغشقر وعبيد موزنيق والكفر ووضعوا حولها أفواكها  
 ونشروا نفيس الأفتة على الأشجار المحيطة بها جريا على عاداتهم  
 واتباعا لأصطلاحاتهم وجاء كثير من الهندوس واحد ملابار  
 بأقفاص من ملبغ الاطيار فوضهوها بقربها واعتقروا ما به امن  
 الطير في حبها

شعر

وهكذا الطبيب ان ذاق الدم

• تبكى على فراقه كل الامم

• جزاؤه على جميل صبره

• ان نجتمع الاكوان عند قبره

وقد اقتضى الحال ان يحيطوها بألفر لمنع كثير من البنات ان  
 تنزلن معها في القبر فكم يكن ففدها وقلن مع الحرقه لها

شعر

• تعالى يا الله يا حبيبه

• تفديك من هذه المصيبه

• فكيف هذا البعد عنا

• وانت ما بيننا قريه

• فومي من النعش كلامنا

• فانت ان تنطق ليبيه

نحبك قد قضي ولكن  
 لم يرض منا قضي نحببه  
 يا ورد جناتنا جديما  
 موزك والله ذا نحببه  
 أمس قرأنا كتاب بشر  
 أمله الفاظك الغريبة  
 وجاء يجرى قبول فينا  
 يشمل من هوقة طيبه  
 وفض ختم الكتاب ليللا  
 فلم نجد في الكتاب ربه  
 واستبشر الكل ثم بقنا  
 فذكر حسن الفقاوطيه  
 وبات في الانس والهدا  
 بقسم كل مناصبه  
 واليوم قد جاءنا ضرب  
 بقطر منقاره نعبه  
 فالدهر في نفسه معاب  
 وليس يحتاج ان تعب  
 وكان دفنها في قرب مسجد الزعفران تحت ظل الخيزران في

مكان كانت تحب في حال حياتها وتريد ان تستريح فيه وهي  
عائدة من زيارتها

ولما رجع الخاكم من المشهد أتى منها ورواه الحشد وأخذ  
يعزي الست بدور في مصابها ويمرهابا لدراسم التي أمكنه  
يجود بها وسخط كل السخط على حالتها التي هي السبب  
في مصيبتها ثم دنا من قبول وشرح يسأله ببعض الأقول وقال  
له اني كنت قصدت بسفرها ان يعتدل الحال وبذلك يعلم الله  
ونشهد ملائكته وانبياءه فسافر يا ولدي للجزائر فاني موجود  
لك خدمه وعلى ان أقوم بشأن أمك في الامور المهمه ومد يد  
اليه ليصافحه ويستعطفه ويسامحه ففقد بها قبول من وراه  
وصرف نظره عنه كيلا يراه

وأما أنا بعد مات مقامى عندهم وأقت أيا ما بينهم لاسمهم  
وأسلى قبول بقدر ما يمكنني أن أقول فلما مضى لذلك ثلاثة  
أسابيع صار قبول على المشي يستطيع لكنه كلما زادت  
قوته زادت همومه وشقوته حتى أصبغ مع عديم الاحساس  
سلبا الفرار والاستئناس اذا سئل لا يرد جوابا وان تكلم  
لا يحسن خطبا وكانت الست بدور كلما رآته تقول يا ولدي  
مارأيتك الا ونصرت ورد حنة فينشق كبدى فيقشعر عندك كبر  
اسمها وينفر كما تنفر الهما ولا يصغى لقول أمه وهي تناديه

وتدعوه لما كان فيه ل و يفر من كل مكان ولا يأوى الا الى البستان  
فيظلم ل متفكر في ورد الجنة جالس تحت شجرتها شاخصا الى  
فسقبتها وقد أوصى الحكيم الذي اهتم بجمع الجته ان لا يتعرض  
لأحد في ارادته وقال لا ينقذه من داء الميلياخوليا الذي اعتراه  
لان يترك على هواه

اقد اتبع نصيحة الحكيم وعرفت ان ذوقه سليم فلما  
أحس قبول رجوع قوته وكما عافيته فر من البيت فرار  
الآبق وكنت أنظره على البعد نظر الوهم فقلت لمرجان ان  
يحضر شيئا من الماء كول وان يتبعني وقبول فرأيت نزل من  
الجبل واشتد جسمه وعليه السرور دخل ثم انحدر الى طريق  
المسجد جهة الخيزران والتفت وراءه فلم ير انسان فوق غير  
بعيد من قطعة أرض ترابها جديد وتوضأ من العين وصلى  
هناك ركعتين ثم دعا ربه وأطال الدعاء وجثا على ركبتيه  
خشوعا وتضرعا فاطمئن قلبي لما رأيته على تلك الحالة وقلت  
ان النطوع من العقل لا محالة وانه رد ادراكه اليه منذ ظهرت  
علامات الصلاح عليه فقلنا ناومر جارا نعالنا وتوضينا  
ثم نوينا هناك وصلينا وبعد ذلك أخذ يسير الى شمال الجزيرة  
وهو في هدوء من الحيرة ولم ياتفت مع ذلك اليما ولا اني بصره  
عليما وكنت انا لم انه لا يدري أين دفنت ورد الجنة ونوارت

وهل طلعت من البحر أو غارت فسأله لا شيء صليت تحت  
 عبدان الخيزران فقال لا أنا كنا نجتمع كثيرا في هذا المكان  
 ثم استمر في طريقه مع القوة والصلابة إلى أن وصل إلى باب  
 الغاية وهناك جن طيننا اللبيل وهدمنا القوي والحييل  
 فأكلت أمامه لبا كل مثل فأكل ونمت تحت شجرة فكذلك  
 فعل ولما أصبح اليوم ظننت أنه يرجع لكنه بقي جهة  
 الخيزران منطلق ثم مشى قليلا كأنه يريد الرجوع لكنه توغل  
 في الغاية مع الهلوع فعرفت قصده ولم أقدر أن أزخره عنه  
 ولا أبعد منه حتى وصل وقت الظهر إلى أرض المذهب فقصده  
 البحر وذهب منه إلى المكان الذي غرقت فيه السفينة من  
 تلك المينة فرأى البحر أسكن من مرآة فصاح آه آه وأعزيتاه  
 وأورد جنتاه ثم وقع مغشيا عليه فنقدمنا إليه وحملناه  
 إلى الغاية إلى أن أفان ووجد صوابه ولما أفان أراد الرجوع  
 إلى شاطئ البحر فمنا وتداخنا عليه ورجونا فرجع عن  
 مشروعه الأول وبدل ما كان عليه وتحول وما زال يدور مع  
 الهيام مدة ثمانية أيام حتى طاف بالمحلات التي كان فيها  
 مع ربيذته وسر بالخنادع التي رأى فيها وجه حبيبتة وما جاس  
 لامن فرط تعبته وشدة ما اعتراه من ظمائه وسفبه وكلماته  
 شيئا من تلك المحال التي كانت تذكره بما جرى معه من

الاحوال كالعاب والاكل سوبه وكالتهير الاسود الذي مر  
 عليه في البرية والقطع التي كانت ترقص فيها معه في أيام صفاء  
 والبقع التي كانت تنفي فيها على قبد الحياه أـ بل دمويه  
 وأضرم ولوعه وصراح آه آه وأورد جنتاه وأمزقناه  
 وما زال على هذه الحالة الموحشه والاضطرابات المدهشه حتى  
 اغورت عيناه وتذبلت وجنتاه وأخذت صحته في الانحلال  
 وهفارونقه وزال فلما رأيت ان الافكار فيها اتلاف وأنه  
 يلزمه البعد عنها والاعتكاف بدال ان أنقـ له في قطعه من  
 الجزيرة تكون له عليه مبعده لهم منسبه وزلات به أرضا  
 في الجزيرة لم يكن يأتيها وطول عمره ما خطر فيها وكانت  
 بها حركة الزراعة جسيمة وثروة التجارة عظيمة فن تجارين  
 ينشرون أخشابا وفلاحين يحملون حصائد وأعشابا وعربان  
 ذاهبه وأخرى على الطريق آية ومراع للانعام ومراع  
 للاغنام وسكان في الخلا منتشرة هنا خمسة وهناك عشرة  
 ولما لو الأرض كانت الزراعة ممكنة للامم المتعددة فيكم من  
 حصائد في الخـلوات وأشجار في الغابات وورود بانعه  
 وأزهار طالعـه وليكثر الزرع طرى الهوى وطابت للناس  
 البيض هناك المأوى فظننت ان قبول اذا أقام بهـ هذه المحلات  
 يسمى ذكـر ما فات اذا البهر من هناك لا ينظر والميناء والاماكن

التي حولها لا تظهر وان الجبال الممتدة من طرف مينا لوى  
لا يظهر منها من جهة المهراشي الا بعض رؤس شاهقه  
وصفحات متفرقة وكان مجيبي يقول في هذه الموضع وموانسي  
اياها في تلك المنازل والمطالع قصدا بان اشتهت اذكاره وازيل  
تولعه وتذكاره وان يترك ما في باله ويبيعه ذكروا رجفة  
عن باباله لكن العاشق يرى أثره شوقه في سائر المخلوقات  
ولا يزال يذكره على عدد الاوقات

شعر

تراه ان غاب عني كل جارية

في كل معنى لطيف رائق بهج

في نعمة العود والغاي الخيم اذا

نألقا بين الحان من الهرج

فكان لا يفتر عن وردها ولا يرى جنة الا في دردها كعب

الغناطيس اذا لمس الابرقة علقها وابن رآها عانقها وهي تدور

معه حيث دار وتسير كيف ما سار فقلت له ونحن في صحاري

وليان الى أين تشوجه الآن فالتفت جهة الشمال وقال ها هي

جمالنا والمروج التي عليها فهل لان ترجع بنا اليها

قال فראيت ان ما فعلته لم يجدي فيه نفعا ولم يعمل لديه خفضا ولا

رذعا فلم يبق علي الا ان أحكي معه في عشقه وان آتبه من باب

شوقه فاستعملت ما قدرت عليه من البرهان القاطع واتخذت  
له الدليل الساطع وقلت له نعم هذه هي الجبال التي كانت ووردجنة  
تسكنها وتلك هي المحال التي كانت تسكنها وهاك الصورة  
التي كنت أعطينها لها برمتها فاني وجدت بها على رمتها فأنسيتك  
في حياتها ولا بد مماتها فلما انظر هذه الصورة مديدة اليها  
والتي بنفسه عليها وضمها الى قلبه رفته منظر رابع  
ما اصفه من تبسمه ثم حن واشتكى واختنق بالمكي فقلت له  
يا ولدي اسمع لما أقول ولو كان عن فضول فاني محبكم وطالما  
كنت معكم فالكما وأنا الذي فطنتك وهذبتك وعلمتك  
وأدبتك ووردتك المصائب ومرتتك على حملى النوائب  
فعلى م هذا الا كتب وطول الانتحاب أنبكي على نفسك أم  
تبكي على فقد رسك فان كان بكائك على مصيبتك فهي نازلة  
عظيمة ومامة أليمة لانك فقدت أحسن البنات خلقا  
وخلقاً وأحماهم فعلا ونطقاً لقد كانت والله تفضلك على  
نفسها وترفع مقامك فوق رأسها وتؤثرك على ثروتها وما كانت  
ترجوه من خالتها وتعتقد انك من أكفائها بل من موالها  
وأوليائها لكن ما أدراك ان ما كنت تطمع فيه من المادة  
لديها ربما كان وخيم العواقب عليك وعليها فانها كانت  
فقيرة مجردة مخرجة من ارض خالتها مبعده ولم يكن لها شيء

تعيش منه الا كدك وعرق جبينك وجهك ولا يخفك انها  
 تربت في الرفاهية واعتادت على العيشة الواسية فلا شك انها  
 على حرارة طبيعتها وشدة حبها فيك وتولعها كانت اذا رأتك في كد  
 تساعدك في الاشغال وتمقت نفسها في الاعمال فان رزقت  
 منها بذرية فقد تمت الرزية اذ كان لا يمكنها ان تخدم اولادها  
 وتخدم أمك وأمها فان قلت ان لها كم كان يساهمكم وبشيء  
 بمدكم فان وما أدراك انه كان يشتغل الى بلده وبأنيك رجل  
 لتيم من بعده وربما احتاجت زوجتك الى رجائه فيستميلها  
 بمكره ودهائه فان مالت اليه ملكت وان عرت نفسه هاضه  
 أدلتك فان ذات

شعر

كفاني من الدنيا حبيب واتني

• لا كفله رغم النوى والنوازل •

• فأشكوله طوراً ويشكو الذي يرى •

• وان كلانا بالاذى غير هازل •

فان صدقت لك نكاحات وانقضت أيامها وفات ولم يبق لك  
 بعدها لأهلك وأمها ولقد كانتا صيرتني عندها وانك  
 بغيرك هذا تفردت الى القبر فاصبر فلاحيلة الا في الصبر واصبر  
 حيتك في خدمتهما كما صرفت وردجة حياتها في مساعدتهما

فان أحياء المرفوعة هو عين السعادة وأعلامنازل الخير وزباده  
وان متاع الدنيا محصور في اللهو والغنى والتفاخر الذي عاقبته  
الفناء وأنت تعلم ان خطوة الطاب الغدا واحده قد أوقعتنا في  
خضم مض ما أبعد واني وان كنت لم أرض لها بذلك في أوائل  
الامر ولم أعنها على السفر الا انه ربما كانت عاقبته امصلاحا  
لشأنك وشأنها سيما وان خالقتها كانت طابتها في أوخر سننها  
وان الخماكم قد أضح في ذلك وأطرب وما من أحد الا رأيه  
استصوب مع ان ذلك كان تهيئه لاسباب البليه فهذه  
لا شك حكمه الهيئه والمكان لا بد منه والمقدور لا مفر منه  
وقد قيل

شعر

• اذا كان عون الله لا بعدد عفا •

• —ون له من كل شيء مراده •

• وان لم يكن عون من الله للفتى •

• فاول ما يجنى عليه اجتهاده •

هذا وان كان الا وفق عدم مطاوعة أمرهم والحذر من خداعهم  
ومكرهم الا ان العالم على اختلاف بضايههم وتفرق حرفهم  
ومصنائههم لا بد لكل ان يفقد أعز ما عنده سواء كان  
حبيبته أو قريبه أو ولده وأغلبهم بعد الفقد يقول يا ليت ما كنت

فغات ويا ليت ما فصررت فيه وما أهملت وما علموا قول  
ليبد وشعره المفيد

شعر

- الا كل شيء ما خلا الله باطل
- وكل نعم - يم لا محالة زائل
- وكل ابن أنثى لو تطاول عمره
- الى الغاية القصوى والموت آيل
- وكل أناث سرف تطهر بينهم
- دو هية تصفر منها لا نامل

وأما أنت فلو اخترت سريرتك وقرأت سببك لما رأيت  
فيك عيبا بلام ولوجدت عندك أخلاق الشبغ على سن  
الغلام وكم لك على ورد جنه حقوق بينه لا تحتاج الى برهان  
ولا بينه فوتم الا بخل فيك ولا تبذير ولا شح ولا نفقة - ير ولم  
يكن لك فيه جنه اذ جعله الله على يد خالها الشقية فتبارك من  
الصورك وأنشاك وحلاك بمعرفته ووشاك فمعهكم  
البالغ ونعمه السابغ تأبى ان تندم على نفعها أو تعترض  
على ما قسم الحظ لها فانه قد رعاها ذلك من يوم ولدت بل من  
ساعة ما صورت في رحم أمها ووجدت وان العيش صرح  
والموت له شرافه والمنون كأس والخاس له رشافه بدور على

القبض على المبيع وبفئتك بالملوك والممالك ويهبط  
بالملوك والممالك

شعر

وما الدهر الا منجنونا باهله

وما صاحب الحاجات الا معذبا

فاحمد الله على انها ماتت قبلك وقبل أمها أعنى انها لم تمت  
مرتين ولم تذكر بجزوتين فانها ان كانت ماتت بعد ذلك فلا شك  
انها كانت تبيك كما وكانت هزله الموتة الاولى وموتتها  
تكون الموتة الاخرى على ان الموت للحياة كالليل لليوم العيوس  
فن نام به فقط دارتاح من اليوس وانك اذا وقفت على حقائق  
الاغتنبا ومعاش الامراض والادعيا وجدتهم في الحقيقة  
لا يمكن كون غير صفة مغبون فان لهم على ظهورهم مصائب  
باطنية وفي نظير ما عندهم من الثروة أقات صحية وان أحببهم  
أحباب أموالهم وطلابهم على قدر نوالهم فاذا انتفى عيشهم  
الذي صرف على منافع غيرهم وعافهم الموت عن سيرهم لم يحضرهم  
غير قريب ملتمس أو منافق مخدس وأما ورد الجنة فانها عاشت  
سعيدة وماتت شهيدة وانها تمت بيمينها بتلك الحبرات  
الطبيعية وماتت محافظة على السعادة الأبدية لانها لما نظرت  
الى القوم وهم متلهفون عليها ورأتك وانت ساج بالجرارة اليها

ثبت عندها أنها كانت محببة للعموم وإن الشعب عليه أمهموم  
مغموم فاطلها الله على برائة ساحتها وانخلاص ذمتها  
فانصرفت أن يمن عليها بابا بجزاء الأوفى وإن يحشرها مع عباده  
الذين اصطفي قالهمها الصبر عند الحمام حتى أنها ذابلت  
الموت بابتسام

واعلم يا ولدي أن الله مبتل لأحبابه مهمل بالموت لاختلافه لهامه  
تعالى أن أبس بقدر على حمل ذلك سواهم وأنه مشبههم في الآخرة  
ومحزل عظامهم فمن أراد به الخير اصطفاؤه ومجمل له بالوفاء ليكون  
لغيره في التبدل قدوه ولمن أراد أن يتأسي أحسن أسوه ثم يجل  
له في الدنيا جزاءه بأن من تفكر فيه بعد موته بكاه ثم يخلد ذكره  
بين الأمم الآتية والذراوى التالية حتى تنقرض الملوك وذكره  
لم يرل وتبقى الدنيا وهو باق إلى الأزل

وإن ورد جنة في حيز الوجود لا العدم وانما نقات من عالم إلى عالم  
وأخرجت من دار الفناء والشقاء إلى دار النعيم والبقا فان من  
خالقها من آدمي قادر على أن يحيي العظام وهي رميم فسبحانه  
دات مخلوقاته على وجوده وشهدت خبراته بجموده ففس  
الذكره فقد كفر وضل في زاد أنقر وحاشا أن يترك ورد جنة  
وإن لا يجعل أقل ثوابها الجنة أجل أنه خالقها وحسن خالقها  
وحافظها وكان يقدري على نجاتها من الفرق وحفظها من الحرق

والشرق الا انه تعالى اختارها لنفسه فقربها من حضرة قدسه  
 وثالوثا مكننا ونحن في عالم الذر ان نقف على الخبر ونعلم كيف  
 خلقنا وبأى وجه قدر ارزاقنا او انما من يوم اخرجنا من العدم  
 الى هذا الوجود الا هم اردنا الوقوف بعد الموت على قرار ايماننا  
 الى الجنة ايماننا الى نار لما عندنا الامراد ولا علمنا ما الله بنا اراد  
 لكن اقرار الدهريين في ذلك محض اقاويل ومجرد اباطيل  
 ومن زعم انها ارحام تدفع وارض تبلى فقد طغى وبقي واشعل  
 في الزندقة نار الوغى فان ايجادهم تعالى انما منزله عن الاضطرار  
 وحاشا ان يعد مشايوجه الاحتمار وان يكون وجودنا في الارض  
 لمجرد هوى نفساني أو رأى انساني فانه ليس في البحر من  
 فطرة الا وفيها اشباح وحيوانات ذوات ارواح وكلها لنا  
 مدخره ولنا فاعنا مسخره وان ما في الكواكب من انوار  
 وحركات وادوار ما خلق الا لنافعنا من متاجرتنا وضرارتنا  
 وجميع الخبرات الالهية ومبارته القدرة الازليه فهو لخدمتنا  
 مسخر ولولانا لما تقدم ولا تأخر لكننا مع هذا شمس الانوف  
 أقربا للكفوف لولا أن ساطع الله علينا الضعف وحكم علينا  
 بالخشع لطغيتا فوق الارض وما اندفع البعض مناهن البعض  
 شعر

وهذه حكمة مولا حكيم • وجل تقدير عزيز عالم

سئل من الموت لنا صار ما • فاصبحت ابامنا كاهن رجم  
 ثم ابتلى الصالح من بيننا • بمقت عبث وعذاب ألم  
 واختاره لاشك من بعد ذا • لنعم دار ونعيم مقسم  
 فورد الجنة اذا في دار السعادة • ومنازل بها الحسنى وزيادة  
 لو اذن لها بالخروج من مقام الاملاك • ورخص لها في ان تراك  
 لك انت بلا شك تذاجيحك وتودعك ومي تناديك وتقول لك  
 يا قبول ان الحياة الدنيا دار بلا • ومحمل اختبار وابتهلا واني  
 احضت وفاء المدة واختصت في المودة • وجبت الجار رضا  
 لحاظ طرا هلى وما رضيت بالغنى حفظ العهدى معك وقول  
 فهانت على الوفاء وتخلصت من قيد تلك الحياة • والقيت نفسي  
 غير آثمة ومنيت بحسن الخاتمة • وفدارا حنى الله على المدوام  
 من تصرف الدهر وتقلب الايام • وما عاد الفقر ولا التجمعة  
 يتقرباني ولا ارى هول البحر ولا هول البحر يراني وحالى  
 لا يرني اليه فلا تأسف يا قبول عليه • فاني صرت خالصة  
 صافية مغمورة في العفو والماوية لا يغرنى مغبر ولا يكدرنى  
 مكدر كالنور الانور والسماوات الاقر • فلا تدعنى للرجوع الى  
 ظلمة الحياه فاني فى حال كل من علم ايتمهناه ان ذكر يا قبول  
 تلك الايام الخالية والاوراق الخالية • حيث كنا نقوم سوية  
 فى اوقات الصبح الهنيه • فتذوق لذة شروق الشمس على

رؤس الجبال وانتشار اشعتها على الغابات والرمال اما كان  
 يقوم بنا من ذلك هيام لا يكيف وطرب لا يجحد ولا يوصف  
 وكننا من كثرة اهمقنا وشدة شغفنا نود لو اننا عيون مبره  
 لنتمتع بانوار الفجر وهي مسغره او انما النوف ومناخر النخلى  
 بشم روائح البت الفاخر او كننا سامع متعددة النفوذ باستماع  
 الطيور المغردة او كننا فلوب عامره لنقوم لله بشكر خيراته  
 الوافره قهار وحى الان على منبع نهر الحاسن الذى منه  
 تستمد الارض وما فيها من المساكن نذوق وتسامع ونشم  
 مباشرة ما ليس الارض وما عليها ان تصل اليه الابرار غير  
 قادره وانى للقلب واللسان ان يقدر امدلى وصف هذه الجنان  
 اوبصحا عما خلقه الله لمة الصابرين واعده لهن نعمة كثير من  
 عباده الصالحين عما اراه كل لمحى بجلى على ويزاد بهجة بين  
 يدي فتجد يا قبول لما نايك واصبر يا اخى على ما اصابك انغور  
 هناك بقربي وتتمتع على لدرام بجي شمس ارضى عنك واتقرب  
 منك واطفىء ولوعك وامسح لك دموعك نهب نفسك لنفسى  
 من عابك الم ساعة ونحطى بوصلى الى ان تقوم الساعة

قال وكانت نهاية قولى ان اخذتني حدة الكلام وأدركتني شدة  
 الطرب والهيام فازهر على عقلى وبهت وامسك لسانى فسكت  
 واما قبول فانه احدث الى بعينه وصاح وهو يضرب بيديه

وبقول

شعر

نفسى قدمنى من حقا • أى والله قدمنى حقا

ثم انه أخضع مبنيه وسقط على الارض مغشبا عليه ولما ان  
 أفان قال حيث ان ورد جنة هي الان فى الجنة وان الموت  
 هو الموصل اليها فلا بد ان أموت من الأسف عليها وكأن  
 أقوالى التى ذكرتها وبراهاينى التى أررتها لم تنزل عنده  
 بمكان ولم يتأثر منها بأى شئ كان وبقي حتى استولى عليه الحزن  
 وتسلطن الداء على البدن ولم يكن رأى مصيبة قبل اليوم كانت  
 تنفقه وتزيل ما حدث به وتدفعه الا الله سلب القرار وعدم  
 الاضطراب فبئست من حالته وذهبت به الى أمه وخالته  
 ولما دخلت به وجدت أمه وأم حبيبة قد أودى بهما الهزال  
 واضمحلال من القم كل الاضمحلال فعلمت ان من كان فى طبعه  
 حده لا يقدر على ان يتحمل الشدة

ثم قالت لى أمه انها رأت ورد جنة فى المنام وانها فى غاية من  
 الترفه والانتظام وحوالها النمد والبان والاس والريحان  
 وذكرتها انها فى خيرات يرسل اليها ولذات بحسد المرء  
 عليها ثم دنت من قبول بائسها وأخذته معها من غير كلام  
 قالت فاردت ان أزرعه من يدها فارتفعت من الارض ولحقت

بها وتبعتهوا وأنا فرحه مبتهجة مفرحة فاردت ان اودع  
 امها فرائنها على اثرى مقبله ورايت وراها مرجان مهرولا  
 ومريم مهروله واعجب من هذه الامور ان هذا المذام رآته  
 بمنه الست بدور فقلت لها خيرا ان شاء الله ولا يحصل  
 في الكون شيء الا باذن الله ولما توجهت عند الست بدور قصت  
 على منام مئله كانت رآته مع اقصى وان في ليلة فدهشت من  
 توافق تلك الاحلام وادعت بتجردهما من فاسد الارهام  
 هذا والراى عندي في الحقيقة انى اعتقد في المنام واثبت  
 تصديقه وقد اجمع كان الارض على ان الحق يرى في المنام  
 واكبر الفلاسفة ومشاهير الرجال كانوا يعتقدون في الاحلام  
 كالاسكندر وقيصر وفلاسفة اليونان وغيرهم من ملوك الرومان  
 ولا شك ان عقول هؤلاء كانت عظيمة وان ادواقهم كانت سليمة  
 ولقد شهدت الكتب السماوية بصحتها وصدقت بكلماتها  
 واما أنا فلا حاجة لى لذكردليل غير ما جرت فيكم رؤيا رايت  
 وعنها أعربت فعملت بوقوعها انها وحى للمصالحين من رب  
 العالمين فمن اراد ان ينقض ذلك بدليله فقدس مى في تضليله  
 واستحال عليه البيان وأغلق دونه باب الامكان لانا نقول  
 ان الرجل ان كان بعيدا عن دار أبيه أو افترق عن أخيه يمكنه  
 ان يطمئن خاطره بالمراسله أو يكاتبه في أمر عن له فليس من

الجبب على صاحب القدرة والارادة ان يرسل بالاحلام عباده .  
وهو لا شك منزله من اتخاذ آله محسوسة في تنفيذها ارادته فلا  
غرو أن كانت الرؤيا من بعض الاله هذا ولاي شئ نشك في  
الاحلام مع ان الدنيا ليست الا كمنام لانها فانية والحلم  
فاني وأمورها واهية والمنام واهي وعلى كل فقد يتحقق منام  
المرأتين ووقع مثل رؤيا العين اذ ماتت قبول بشهر بعد  
ورددته وجمعه الله بها في الجنة وكان رحمه الله لا يزال ينفذ  
بذكرها حتى دفنوه جنب قبرها ثم ماتت اقعو ان بعد ابنها  
بثمانية ايام وقابلت الموت بسام وقالت وهي تودع الست  
بدور كلاماتين له الصخور وتنشق له الافئدة والصدور

### شعر

في جنة اللاد يكون الملتقى • فانه ادار النعيم والبقا  
والموت لا شك أعز منة • يطعم اعبدا لمولاه نفا  
والعيش كان مباحا بشئى • آخره ليكل من تحقفا  
وان يكن محض ابتلا فكلنا • نطلبه عيشا فصر اضيافا  
ولما قطع حبل المائلين وتصرم • قام الحاكيم بامور ورجان  
وسريم فانه ما صار عديم المنفعة • بعد ان كنا في الخدمة  
كاربعه ولم يعيشا زما طويلا بعد اسبادهما • ومات الكلب  
جوعا من بعدهما فاخذت الست بدور في منزلي وهي من الصبر

في مكان على وكانت في أوائل المصيبة شديدة الاضطراب شريفة  
 النفس عالية المقدار وطالماسات قبول وجلدته وقوته  
 بالقول وايدته وعللت أمه اقنعوان الى ان مات الاثنان  
 ولم تمش بعدهم الا شهرا ثم ماتت غما وقهرا  
 واما حالها فانها وقعت بعد ما في شرك الدم ونكبات في قيود  
 السدم على ما فعات معها ومع ابنتها من الامتهان وارزكت  
 فيها ما امورا تكل بشرف الانسان فجل الله لها في الدنيا بالعقاب  
 وختم لها بالسوء والعذاب

وجعل قبر قبول مجاورا لقبر وردجته وقبور امه بها واخذ ميهما  
 حوايهما وما وضعت عليهما برزخ من رخام ولا نقشت عليهما  
 كلمات تليق باخلاصهم الكرام ومع ذلك فلا زال ذكرهم في قلوب  
 من احسنوا اليهم فخلدا واسمهم في معالم الجزيرة محفوظا مفيدا  
 كان ارواحهم التي نجات بالزهد في الدنيا لا تميل الى زخارف  
 الاخرى وانه لو امكنهم ان يسبحوا في الارض بعد موتهم اورخص  
 لهم ان يرجعوا الى بيوتهم لما تخيروا الاماكن الفخرا والمساكن  
 وانكبوا معاكف المنقطعين ليسعوا في تسليفة من اسائه الزمان  
 وتقوية من عشق من الشبان وترغب الناس في الخبيرات  
 الطبيعية والمحصلات الصالحة وتغفر النساء والرجال  
 من الالهة في طلب الاموال

في امم عشر الشيمان المتصايين واهل الفتوة المؤتلفين وبآبها  
 الامهات المساكين وبأفرادها تبين العمانتين اجمعين ان  
 هذه الاشعار التي كانت تطلبكم وتلك العيون التي كانت  
 تحرى لکم والمعا كف التي كنتم عاكفين عليها والمخارج  
 التي كنتم زناحون اليها أصبحت على فقدكم باكية وامست  
 بعدكم موحشة خالية فلا يستطيع أحد بعدكم ان يفتح ارضكم  
 أو يسكن بينكم حتى ان معركم نفرت وظهوركم فرت  
 وبساتينكم اففرت وهاتبا بعدكم قد انزاده وابعدكم  
 أولاده وسابح في الارض الى الابد لم يجتمع بعدكم فيها  
 على أحد

ولما ان ختم الشيخ بذلك القول فنهض قائم، أخذ مرارته واستند  
 على راسه ورمى راسه ورمى راسه ورمى راسه ورمى راسه  
 ورمى راسه ورمى راسه ورمى راسه ورمى راسه ورمى راسه  
 ورمى راسه ورمى راسه ورمى راسه ورمى راسه ورمى راسه

قد تم هذا الكتاب طبعاً وراق حسناً ورق طبعاً  
 ومنه قد ازدهرت رباغش شداهلها الحمام سحبا  
 وذلك بالمطبعة الوطنية بمصر المحمية في اوائل الحجة سنة ١٢٨٨  
 من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام وعلى آل واصحابه الكرام

أما بعد حمد الله على الأئمة والصلاة والسلام على ناظم عقد لوائه  
فيقول الفقير محمد فديري والمد صاحب المطبعة التي تم بها حسن  
طبع هذا الكتاب النفيس قد اطاعت على هذا الحديث  
بلغة الفرنسية فالقته أحلى من الضرب وادعى من الإحسان  
إلى الطرب جامع الفنون الأدب يشتقي به الغليل واصلح مزاج  
العليل حديث بذكر اليهود والمودة ويطلع في جنة الوفاء  
ورده تدور بكؤوس محاسنه الشمول ويأخذ القلب بآبهاج  
وقبول وقد ترجم إلى جميع اللغات الأورباوية لما فيه من  
الآداب والأنواع البديعية ولم أر له ترجمة عربية أحلى من  
ترجمة نادرة دهره وغرة وجهه عصره رفیق حواشي الطباع  
طويل الباع في فن الاختراع ناظم ما انتثر من المائر ناشر لواء  
الحامد والمفاخر جامع أوصاف الكمال محمد افندي عثمان  
جلال حامل علم الجدا الآن ديوان الجهادية حائر قصب  
السبق في ترجمة الكتب العسكرية صاحب العيون البواقظ  
والحكم والمواعظ والتأليف العديدة والتصانيف المفيدة  
ومبلغ القول في هذا العلم الشهير أنه غريب في فضله ومجده وأنه  
أوفى من فنون الأدب مالا ينبغي لاحد من بعده ولا جيل  
الاطلاع على فضائله والوقوف على حميد شمائله أوردت  
هنا رسالته التي تخفى بها راسما فيها نفسه وأوصافه الحسنة

والمعنوية وهي هذه

اتريد ايها الاديب الاربب والاملي اللبيب ان ارسم لك  
صورة بعض أحيائك وان ارسل اليك نسخة من أصل واحد  
أحيائك اما ظاهر تلك الصورة فليس فيه شيء يأخذ  
انه لا ينقر فكذلك لا يأخذ يعرف كيف ينوع نفسه ولا يعرف  
كيف يروج به نفسه ينشكر لمن استغنى عنه تشكره للاحسان  
فان احرم منه ظاماسلى نفسه على ذلك الحرمان ان جلس مع  
من لا يريد سكت وان جالس محبا تكلم ونسكت ان تكلم  
عرف كيف لا سكوت يلزم وان سكت عرف كيف يتكلم  
وان تكلم غيره اوسع سمعا ووجد فيما يقوله نفعا فان رأى  
نقصا في عقل المتكلم غض عنه ما لم يرى في نفسه انه أعظم منه  
ظاهرة خامل منجمد وباطنه مشتعل متوقد وهو على ما يجب  
عليه من الكسل والميل الى عدم العمل يرى في نفسه منبه  
كثيرا تهب من غزارته ومستودع طامنا خبير من كثرته  
طبيعية يشبه للفن وقته يشبه للطبيعي وذلك لما فيه من استقامة  
المعنى وانتظامه وسهولة اللفظ ورقة انسجامه فان زبد على  
ما كتب كان غير لازم أو حذف منه لمكان الحذف بغير جازم  
والخاص ان صاحبه لو امكنه ان يعتمد على كثرة العمل وان  
يجو من الفرق في بحر الكسل وكانت حافظته لم تخنه بالغيب

لكان أحسن من ذلك ولا يكن لم يخل امرء من عيب  
 وأما باطنه فاهل لان يهدا اليك وان يقدم بين يديك فانه  
 لا يريد ان يختص من الخير بذيله الا ليكون على مقدرة من فعله  
 أو يقدر على جبر أحبابه فان صنعوا معه خيرا أتاهم بالشكر  
 من يابه تكليفه الغير لنفسه بوجوب الزعاجه فاذا احتاج  
 لا يسأل الانفسه الصبر على تلك الحاجة وهو على فصاحته على  
 عند السؤال يرى ان المجد المكتسب بالتحسنة ليس من شأن  
 الرجال لا يحتاج أحد في قوله ولا يلقى أحد الطول بهتقن المدح  
 ولا بمدح يجهله ومادح احد اقط وكان في غير أهله  
 وأما طمعه فليس مما بوجوب التعب حتى يصل الى ما يطلب  
 بل اقتصا في الرزق لئلا ما يستحق لا بقصد اقرب الطرق  
 واستخفها بل ابعدا واشرفها فان احرم من أرزاقه كفاد ان  
 الناس تعلم باستحقاقه بل لا ذم بما فيه من الشرف والعفة ولا  
 يكدر غيبه على ما يعتريه من فطاعة الكبر والانفسه من رفع  
 قدره تواضع له والطرق ومن وضعه تكبر وتمزق

شعر

الا لا يجهل أحد علينا فقهيل فوق جهل الجاهلينا  
 عدد احبابه كعدد الاخلاق بل لان وجود الخلق بعد من  
 المستحيل بكثرة التهمري في اختيارهم بعد طول اختيارهم لا يختشى

عليهم انقطاعا لعدم كثرتهم ولا يخاف فيهم ضياعا لقائهم ومنى  
فلوا كثرا لحرص عليهم وحسن التودد اليهم فتراه معهم ثملا  
بغير مدام عافلا بغير احتشام مؤلفا بغير فضول ولا تكلف  
منبسطا بغير سفة ولا تعسف وهذا هو عيش من يزداد مع محبيه  
سعه ويرجو ان يكون كذلك عيش محبيه معه